علماء ومفكّرون معاصرون

لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلّفاتهم

٧

عبد الرحمن حبنّكة الميداني

العالم المفكّر المفسّر

بقلم زوجته

عائدة راغب الجرّاح

الأستاذة بجامعة أمّ القرى سابقًا

زوجي كما عرفته

دار القلم

دمشق

علماء ومفكرون معاصرون
لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم



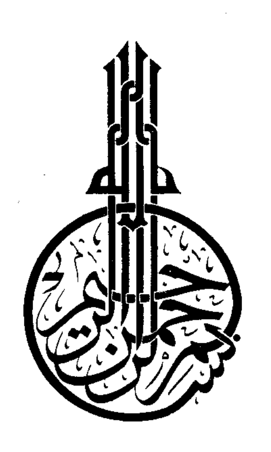
عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني

العالم المفكّر المفسّر

بقلم زوجته
عائدة راغب الجرّاح
الأستاذة بجامعة أمّ القرى سابقًا

زوجي كما عرفته

دار القلم
دمشق



الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

تطلب جميع كتبنا من :
دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق
دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

المقــدّمَة

الحمدُ لله الجليل الوهّاب، ملهم الخير والهادي إلى الصواب، والذي يمنح ما يشاء، ويصطفي من عباده من يشاء، لما يشاء، والصلاةُ والسلام على معلِّم الهُدى الذي أنزل الله عليه القرآن، وجعله خاتم أنبيائه ورسله للناس كافة. . . وجعلِ أمته الأمة المصطفاة لحمْلِ رسالة الله للناس أجمعين، إذ جعلهم أمَّةً وسَطاً عدولاً، وجعلَ منهم داعِين إلى اللهِ بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالّتي هي أحسن، وجعل منهم ـ إلى أن تقوم الساعة ـ العلماءَ المخلِصين الناصِحين الذين يقولُون الحقَّ، ولا يخشَوْنَ في الله لومة لائم، ولا يَضُرُّهم من خالفهم.

وبعد فقد كلّفني الأستاذ الفاضل (محمد علي دولة) الذي عُرفَ عنهُ محبّتُه للعِلْم والعُلَماء. . . والعمل على نشر العلُومِ الإسلامية تليدِها وجَدِيدها، بأن أكتب كُتَيِّباً مُستقلاً عن زَوْجي فضيلة الشيخ الأستاذ عبد الرحمن حَبَنَّكَة الشهير بالميداني، ابن علامة الشام المجاهد المكافح المُجَاهِر بالحق سماحة الشيخ حسن حَبَنَّكة الميداني رحمه الله رحمةً واسعةً، وأسكنه فسيح جنَّاته، وذلك ضمن سلْسِلَةٍ سمَّاها (عُلماء ومفكِّرون معاصرون، لمحاتٌ من حَيَاتهم، وتعريف بمؤلّفاتهم)، بصفتي ألصق الناس (بالشيخ عبد الرحمن) وأكثرهم معرفةً بمعالم شخصيّته، وطبيعة أخلاقه وسلوكيّاته ومسيرته العلميّة والدعويّة، معلِّماً وموجِّهاً وداعيةً، ومُؤَلِّفاً ومُفكِّراً وعالماً جليلاً، وعَلَماً منْ أعلام عَصرِه. .

وقد صَعُبَ عليَّ هذا الأمرُ لعدَّةِ أسباب منها :

السبب الأول : أن السُّنَّة جَرَتْ أنَّ أعلام عَصْرِهم مِنَ العلماء ، لا يُكتبُ عَنهم في الغالِب في حياتهم .

والسبب الثاني : هو صُعُوبة التعرُّض لحمل هذه الأمانة الدينية العِلْمية التاريخية ، أمام الله جل وعلا ، وأمام نَفْسِي ، وأمام المسلمينَ عامـةً . . بدءاً من هذا العصر إلى أن تقوم الساعة وتُحاسَبَ كلُّ نفسٍ بما كسبت . ولا سيما أنَّ شـهادَتي قد تكونُ مَجْروحـةً ، لكوني زوجتَهُ ، ورفيقـةَ دَرْبه . . لذلك أشفقت من حمل هذه الأمانة ، وأحْجَمْتُ عن تنفيذ ما طلَبَه منّي الأستاذ محمد علي دولة لمدَّة طويلـة ، وشرعت بتلمُّسـي الأعـذار ، هروباً مِنْ هذه المسؤولية الكبيرة ! خُصوصاً أنّني مشغولة بنشاطات دعوية أخرى . . وكنتُ أشعرُ حيال هذا الأمر بأنّي قد كُلِّفت حَمْلَ أثقال شاقة على عاتقي . . وعاد الإلحاحُ عليَّ يزدادُ بينَ الفينةِ والأخرى . .

وفي إجازة صيف سـنة ١٤٢٠ هـ في (الطائف) اعتزلت فيها الناس ، بدأت أفكِّر جدّياً بهذا الموضوع ، مع استِمرار تردُّدِي . . وهنا التجأتُ إلى ربِّي بصِدْقٍ ، فهو صاحبُ الأمرِ أولاً وآخراً ، واستخرتُهُ مرَّاتٍ ومراتٍ ، وسألته أن يلهمني الصواب ، ودعوته إذا كان في هذا الأمر خير للإسلام والمسلمين أن ييسّره لي ، ويلهمني الإخلاص والصدق فيما أكتب ، فمنْذُ فعلتُ ذلك رأيت نفسي وكأنني منساقةٌ إلى هذه المهمّـة بتوكّل على الله ، وفتح ، وتيسيرٍ وإلهام ، فسَكَنَ قلقي ! وقلتُ في نفسي : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

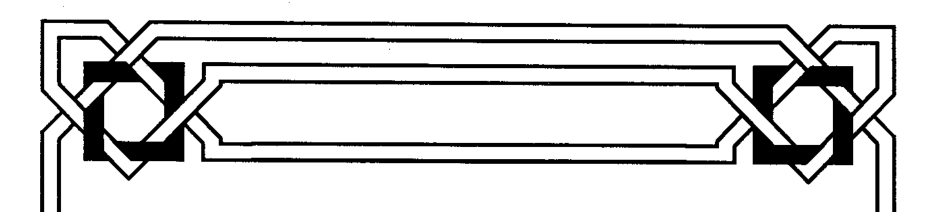
وبما أن العلماء ورثَةُ الأنبياءِ فقد تأسّيْتُ بسَـيّدةِ عالمات عصرِها ، أمِّ المؤمنين ، السيّدة عائشة ، رضي الله عنها ، الّتي ما فتئت طوال حيَاتِها

تتحدث عن سيّدي رسـول الله ﷺ؛ عن حياته، وشخصيته، ورسـالته، وعِلْمِـه، وخُلُقه وسِيرته مع أهله وغيـرهم.. ولولا ذلك لفَاتَنـا الكثير الكثيـر.. من شـمائلِ وسـيرةِ الرسـول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وذخائرِ سنّته المطهرة، وبعضِ الأحكام الفقهية، التي كانت فيها السيدة عائشة، ناقلةً صادقةً وزوجةً وفِيَّةً، جمعتْ فأوعتْ، وتعلّمت في المدرسـة المحمّديـة فنبغتْ، وبدَورِهَـا علَّمَتْ، ولمدرسـةٍ خاصّةٍ بها تزعّمتْ، حتَّى كانت لها مدرستُها المتميّزةُ التي تفرّدتْ فيها بأحكامٍ فقهيَّة، دون سـائر الصحابة، وكان كثير من الصحابة والتابعينَ يستفتُونَها في بعض أحكام الدِّين.. حتى صارت علماً من أعلام المسلمين والمسلمات.

وإنّني إذ تحمّلتُ أمانـة الكتابـةِ في هذا الموضوع، أسـأَلُ الله العَلِيَّ القدير أن يلهمني الصِّدقَ والصوابَ في الجانب المتعلِّق بلمحات من نشأة (الشـيخ)، ومسيرته العلمية والدعويـة، ومحطّاتِهِ التعليميّـة والتوجيهية والدّعويـة، وماذا يعني العلم والدعوة بالنسبة إليه، ومنهجه العِلميّ في التأليف، ودَوْرِ العقيدة الإسـلامية في مسـيرةِ حيَاتِه وحيـاةِ مَنْ ربَّـاهُمْ، ومبادئه التربويّة، وسيرتِه مع مَنْ ربَّاهم من داخل أسرَته وخارِجها، ومافتح الله به عليه من اكتشافات كلية في فهم الدين والقرآن الكريم وبعض العلوم الأخـرى. وأثر إنتـاجِهِ الفكري والعلمِي في السّـاحةِ الثقافيـة والفكـر الإسلامي المعَاصِر، والنشاطِ الدَّعويّ، والتوجيه الَّذي اضطلع به. وأخيراً بإلقاءِ نظرةٍ إجماليَّةٍ عامَّة حَوْلَ مؤلَّفاتِه الّتي بين أيدي القرّاء، إذْ يَسْتَطِيعُون الحكم عليها والاستفادة منها، رزَقَنا الله جميعاً العلمَ النَّافِعَ والقلب الخاشِعَ واتِّباع هذْيِ كِتابِ اللهِ العظيمِ وسُنَّةِ رسُولِه الكريم ﷺ.

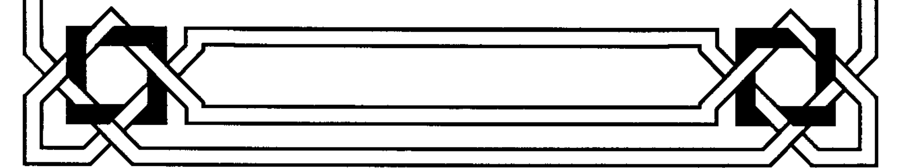
عائدة راغب الجرَّاح





الفصل الأوّل

لمحات من حياته





الحيّ الذي نشأ فيه (الشيخ عبد الرحمن) ونسبه وبيئته ونشأته الأسرية

ولد الشيخ عبد الرحمن في عام ١٣٤٥هـ الموافق لعام (١٩٢٧م) في حيّ (الميدان) من مدينة دمشق، وهذا الحيُّ يمتدُّ جنوب المدينة، ويعتبر من أحيائها العريقة، المحافِظة على التقاليد العربية الأصيلة، والمواريث الدينية والأخلاقية الكريمة، ذلك الحيّ الذي يتميَّز بالأصالة العربية، ويُعرَف بشجاعةِ ونخوةِ وبطولةِ رجالِهِ، ومواقفهم الصامدة، وسخائهم، وكرمِ ضيافتهم، وحُسنِ نجدتهم.

ـ **جدّه لأبيه**: الحاج مرزوق بن عرابي بن غنيم، كان من الأتقياء الصالحين الورعين، المحبّين للعلم والعلماء، المحافظين على الجمعة والجماعات في المسجد الأثريّ القريب من مسكنه ويدعى (جامع مَنْجَك)، وإحياء ما بين المغرب والعشاء، وما بين الفجر وصلاة الضحى.. تالياً للقرآن، ذاكراً، مواظباً على مجالس العلم التي كانت أحياناً تُقام فيه.

وقد كان له الفضل الكبير بعد الله تعالى في دفع ولده سماحة الشيخ حسن نحو العلم الديني.

ـ **والده**: العالم الفذّ الصامد، المربّي والموجّه للأجيال، وحامل لواء الدعوة في دمشق الشام انطلاقاً من عرينه في حيّ الميدان إلى كافّة أحيائها، والقرى المحيطة بها، بل والمحافظات السورية الأخرى. وهو

المجاهد بنفسه وخُطَبِه التاريخية وعلمه وماله، والرافع لراية الإسلام بعزٍّ وثبات، والمعروف بمواقفه الجريئة الصامدة ضدَّ الاستعمار الإفرنسي، وضدَّ جميع قوى الشرّ والبغي والإلحاد، وهو في الوقت نفسه عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي (سماحة الشيخ حسن حَبَنَّكَة الشهير بالميداني) غفر الله له، وكتبه عنده في علّيين مع الشهداء والأبرار والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

ـ **لقبه**: ترجع عائلة (حَبَنَّكَة) في أصولها إلى عرب (بني خالد) المعروفة من قبائل العرب، وتمتدّ منازلها إلى بادية (حَماة) من أرض الشام.

ـ **والدته**: السيدة الصابرة الورعة التقية المكافحة، رفيقة درب دعوة زوجها، (نَظْمِيَّة ابنة إبراهيم السودان)، وهي من أسرة ميدانية أصيلة. . اقترنت بالمغفور له ـ إن شاء الله ـ الشيخ حسن وهي لم تتجاوز الثانية عشرة ـ كعادة ذلك العصر ـ وهو في الخامسة عشرة من عمره تقريباً، حيث كان قد اتَّخذ طريق العلم الديني . . .

وسكن في بيت والده (الحاج مرزوق) رحمه الله، الذي كفاه مؤونة زوجه وولده، ليتفرّغ لطلب العلم والدعوة والإرشاد.

فكانت نِعْمَ الزوجة الصالحة، إذ كانت له ردءاً داخلياً، ومعيناً، ومسعفاً، عابدة ذاكرة راضية.

وقد بارك الله لها وبارك عليها، فكانت ودوداً ولوداً، أنجبت له اثني عشر ولداً؛ سبعةَ ذكور أكبرهم (الشيخ عبد الرحمن)، وخمس إناث ماتت كبراهنّ وهي البكر في سن الرضاع. فانكفأت تربي أحسن تربية، وتخدم في بيتها، وقد علَّمها الشيخ حسن ـ زوجها ـ مبادئ القراءة والكتابة حتى أتقنتها، فجعلَ منها مدرِّسةً في مدرسة صغار الإناث التي أنشأها في

زمن عزَّت فيه الثقافة والعلم للرجال! فكيف للنساء؟ .

وكان أجلُّ ما تميّـزت به في كفاحها هو خدمتهـا للعِلْمِ وطلَّاب العِلم، في بيتٍ أصبح دارة علمٍ وتوجيه ودعوة ومثابة وفتوى وحل مشاكل اجتماعية للقاصي والداني! ، فكانت لا تفتر أو تملّ عن تقديم الخدمات وحُسْن الضيافة لكلّ مَنْ يتلقَّى علمـاً على يد زوجها الشـيخ، أو حتى مَنْ يـزوره، قرابة نصف قرن من الزمان! ، بالإضافة إلى خدمة ورعاية زوجها وأولادها وأحفادِها الذين بلغ عددهم حين وفاتها رحمها الله مئة وأربعين ولداً وحفيداً.

وكان لطلاب العلم في مدرسة الشيخ الوالد (التوجيه الإسلامي) أوفىٰ نصيب من رعـايتها وعطفها. . في الإطعام والإكرام والعنايـة. . ولاسـيما بالنسـبة إلى الغرباء منهم، وقد سمعنا من بعض الأئمة والخطباء في تـركية ممن درسـوا في مدرسـة (التوجيـه الإسـلامي) الكثيـر من كرم الضيـافة والرعايـة المستمرّة لهم من قِبَل سـماحة الشـيخ حسـن والسـيدة أم عبد الرحمن.

ولم يقتصر الأمر على الطعام والشراب، بل تعدّاهما إلى الكسوة، إذ كان من عادة الشيخ حسن رحمه الله أن يفرّح طلاب مدرسته (المجانية الداخلية القائمـة على نفقات أهل الخير) بلبـاس جديد في العيد. . فكان الشيخ حسن يُفَصِّلُ الجُبَبُ لطلاّبه، وأم عبد الرحمن تخيطها في ليالي رمضان الأخيرة، والشيخ عبد الرحمن يساعد أمه ـ باعتباره أكبر أولادها ـ في رفيها، ليلبسها الطلاب صبيحة يوم العيد! .

وهكذا كـانت رحمها الله أمّـاً للجميع حانية راعيـة، خادمة بصمت ورضى وتسـليم تام. شـاكرةً حامدةً لله، لا تعرف الشـكوى على الرغم

من كل مسؤولياتها الجسام وخدماتها المتعددة الأوجه، بل كانت تردد دواماً (أدام الله العافية).

ويكفيها فضلاً أن أنجبت وربّـت وقدّمت للعالم الإسـلامي أمثال ولدها الشيخ عبد الرحمن حفظه الله. وصَدَقَ مَنْ لقَّبها بـ(ست الشام وأم طلبة العلم).

* * *

نشأته ومسيرتُه العلمية والدعوية

إذا أخذنا لقَطَاتٍ من قصةِ (الشيخ عبد الرحمن) مع العلْم والدَّعوةِ، وجَدْنَا أنَّه قدْ نشَأ في بيتِ علمٍ ودَعْوَةٍ تُحيطُ به ظروفٌ قلَّما تتيسّر لغيره من رِجالاَتِ هـذا القرن، فهو والعلمُ والدعـوةُ بذْءاً من نشـأته الأولى، منـذ ما يَنُوفُ عَنْ ستين عاماً توأمان لا يفترقان!، وهو يشير إلى ذلك في مقدمة بعض كتبه، فقد ذكر أنّه:

بعد توفيق الله وعنايته به فإنّ لوالده ـ الذي كان يعدّه خليفةً له ـ فضل تربيته وتـأديبهِ وتعلِيمه علُومَ الإسـلام، وانتِظامه في سِـلْك طُلاَّب عُلُومِ الشريعة الإسلامية في مدرستِه الشرعيَّة الَّتي أسسها وربّى طلابها وعلّمهم بنفسه حتى آتت أُكُلَها طيبةً مباركة.

وهي مدرسة داخلية مجانيَّة تقومُ على مسـاعدات جمعية خيريـة سـماها الشـيخ الوالد سـماحة الشيخ حسن حبنكة ـ غفر الله له ـ (جمعيـة التوجيـه الإسـلامي)، ومن ثَمَّ سُـميت المدرسـة باسْمها (معهد التوجيه الإسلامي)، تلك المؤسّسة الجامعة التي كانت ذات نِظامٍ فريدٍ مُتميِّزٍ في هذا العصر، يقُومُ فيه التعليم على شكل حلقاتٍ علمية، على طريقة علماء المسـلمين الأقدمين!، وكانت تستقبل طلاب علوم إسلامية وعربية من تركية وبعض بلدان العالم الإسلامي.. والدّراسةُ فيها دراسةٌ موسُوعِيّة، وطُلاَّبها طُلابُ عِلْمٍ حقيقيون.. يتعلَّمُون ويُعلِّمون، فيستفيدُ بعضُهُم مِنْ بعضٍ، ويتعرضون للانتقاداتِ من قِبَل بعضهم بعضاً. كما يتلَقَّون التعليم

والتوجيه والحزْمَ من قبلِ سماحة الشيخ الوالد رحمه الله، الأمر الذي جعل كلَّ واحدٍ منهم لا يستطيع أنْ يستمرّ على الخطأ أو التَّقصير، أو أن يقبل بـالحدِّ الأدْنى مِنَ العِلمِ، فكُلُّ واحـدٍ منهم يُحاوِلُ أن يتوصَّل إلى ما لم يتوصَّلْ إليهِ غيْرُه، ومِنْ ثَمَّ يُفيدُ به غيره.

وكانت الدراسة في هذا المعهد تعتمد على دراسة المادة انطلاقاً من جذورها، وهكذا يتدرَّجون فيها إلى أعلى مُسْتَوياتِها. فمثلاً مادة كمادة (علم النحو) كانتْ دراستهم فيها تبدأ من رسالة صغيرةٍ معروفةٍ عند النحاة تُدعى (الآجُرُّوميّـة)، ثم ينتقلون إلى شـروحها الموسَّعة شيئاً فشـيئاً، ثم ينتقِلُونَ إلى دراسةِ سِلْسِلَةِ (ابن هشام) في النحو: (قطر الندى)، فشرح (قطر الندى). (فشذور الذهب) فشرحه، ثم ينتقِلُون إلى مستوى (ألفية ابن مالك وشراحها)، ومن شـرّاح ألفية ابن مالك (أوضح المسالك) لابن هشام، و(شرح ابن عقيل)، ثم (شرح الأشموني) وحَوَاشِيه، ثم يتوسعون بدراسـة (مغني اللّبيب) لابن هشـام، وفي أثناء ذلك كانوا يتوسَّـعُون في كتب النحو الكبرى!!.

هذا بالإضافةِ إلى نوعٍ من التربية العَمَلِية في الدعوة الّتي كانَ سماحة الشيخ حسن الوالد يكلّفهم إِعدادها وأداءها، كإعداد الدروس، والخطب والمواعظ، وإلقائها في المسـاجد، وكتابـة المحاضرات التي يكلّفهم إلقاءها أمامه في دروسه العامة، وكان (الشيخ عبد الرحمن) واحداً منهم، وهم لا يزالون حديثي الأسنان، مما جعلهم يتمرسون بالخطابَةِ والوعْظِ والتوجيه في مواجهة النّاس مع ممارستهم لدروس العلم الجامعة المكثّـفة في هذه المؤسسة المباركة. فكانوا يجمعون بين التّعلُّمِ والتّعليم والوعْظ والتَّوجيه، والحياة المشتركة العامَّة بتقشُّفٍ، والمشابِهة للمدرسة المحمديّة المتوارثة لدى كثير من علماء المسـلمين.. الأمر الذي جعل منهم رجال دَعْوةٍ متمكّنين، ذوي خلفيّةٍ علمية تربويّة رفيعةِ المستوى.

وقد خرّج هذا النمطُ من التَّعليم والتوجيه والتربيَةِ نخبةً من العلماءِ الدُّعاةِ، وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ (صادق حبنكة) شقيق (الشيخ حسن) رحمــه الله، ورفيق دربه.. والحاملُ لِلواءِ دَعوتِه في دمشق بعدْ وَفَاتِه. والعالمُ والخطيبُ فضيلة الشيخ (حسين خطاب) (شيخُ قراء دمشق) تغمَّدهُ الله برحمته. وفضيلة الشيخ (كريّم راجح) الخطيب المفوّه، وشيخ قراء دمشق، بعد رحيل الشيخ (حسين خطاب)، وغيرهم من العلماء، أمثال الدكتور (مصطفى سعيد الخن) العالم المتمكّن، ذي المؤلفات العِلْمية الرصينــة، والمعلّم من الطّرازِ الأول. والدكتور (محمد سعيد رمضان البوطي) العالم والكاتِبُ والأدِيب، صاحب المؤلفات العلمية الغزيرة، والدكتور (مصطفى البُغَا) الأستاذ في كلّية الشـريعة في جامعة دمشــق، والعامِل في ميدان التحقيق والتأليف. وآخرون غيرهم من الذين أصبحوا في بلادهم دعاةً ووعاظاً ومعلّمين، وأئمةً وخطباء في العالم الإسلامي، ولا سيما في تركيّة إذ يتوافد على دار (الشيخ عبد الرحمن) بعضهم ممن دَرَسُوا في معهد الشيخ الوالد رَحِمَهُ الله، ولا يزَالُون يعترفُونَ لهُ بالفضل، وحُسْنِ الرعاية الأبويَّة التي تلَقَّوها مِنْهُ والمساعَداتِ المادّية... بالإضافةِ إلى التَّنشِئة العِلميّة المباركَة!.

* * *

المحطات والمنعطفات التي مرَّ عَلَيْها
في مسيرته التعليمية والتوجيهية والدَّعوية

يُعتبر الشيخ عبد الرحمن مُعلِّماً منْذُ صارَ بإمكانه أن يَنقلَ العلمَ إلى غيره، إذْ بـدأ يُعلِّم منذُ كان عُمرهُ خَمْسَ عشـرة سنة في معهد والده، أثناءَ دراستِهِ فيه. ثم لمَّا تخرج من هذا المعهدِ عام ١٣٦٧هـ حوالي ١٩٤٧م أُسنِدَ إليه تدريسُ موادَّ مختلِفـةٍ فيه، منها: علُومُ الفقه والأصول والتَّوحيد والمنطِقِ والبلاغةِ، وغيرِها من العلوم الشرعية والعربية والعقليّة التي كان قد تمرَّس بها في معهد والِده طالباً وأستاذاً، حتى سنة ١٣٧٠هـ إذِ انتسبَ إلى كُلّية الشريعة في الأزهر الشريف حتى حاز على (الشهادة العالية) من الكلّية المذكورة، وهي تعادل (ليسانس في الشريعة)، ثم حازَ على (شهادة العالمية مع إجازة في التَّدريـس)، وهي تعادلُ (ماجستير في التربية وعلم النفس).

وبعد تخرُّجهِ من الأزهر الشريف صارَ أستاذاً في ثانويّات دمشـق الشرعية والعامّة، مع قيامه بالعمل الإداري، بالإضافة إلى قيامه بالتدريس في معهد والده تغمده الله بواسـع رحمته. ومما أُسـنِد إليه من الأعمـال الإدَارية (مديريّة التعليم الشرعي) التّابعة لوزارة الأوقاف، فكان في إدَارتِهِ رَشِـيداً عامـلاً دَوَاماً، ومنجـزاً في أعمالـه بصَمْتٍ، مكَّنَهُ مِنْ أنْ يُحقِّق خدماتٍ للإسـلام والمسلِمين، ما كان باستِطاعَتِهِ أنْ يُحَقِّقَها لو اتّخذَ أُسـلُوبَ الدّعاية لنفسه، والضجيج الإعلامي!، وهذا مبدأ من مبادئه في

العمل لِخدمَـةِ دِينِـه وأُمَّتِـه. ولولاَ ذلك لما تحقق ما كان يصبو إليه من إنجازات ومنها: تأسيس عدد من المدارس الشرعية في بعض المحافظات السورية، مع تأسيس ثانويّتين شرعيتين للإناث في دمشق وحلَب لأول مرة.

ثم أصبح عضواً من أعضاء هيئة البحوث في وزارة التربية والتعليم في سورية، وبقي فيها إلى أن انتقل إلى العمل في المملكة العربية السُّعودِيَّة، بعد أحداث جرت في سوريَّة وحرب ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، وعمل أستاذاً في (جامعة الإمام محمد بن سُعود الإسلامية) في الرياض لمدة سنتين.

ثم انتقل عمله إلى مكة المكرمة، فعَمِل أستاذاً في (جامعة أم القرى) قُرابة ثلاثين عاماً. منذ كانت عبارة عن كليتين (الشريعة والتربية)، ثم أُلحقتا بجامعة (الملك عبد العزيز)، ثم ما لبث أن انفصل شطر الجامعةِ في مكة المكرمة، وأصبح جامعةً مستقلة باسم (جامعة أم القرى).

وقد أسند إليه في هذه الجامعة تعليم موادَّ مختلفة، دينية ودعوية وإنسانية وعقلية، بالإضافة إلى قيامه بالتوجيه والتثقيف العام وتبصير المسلمين، ولا سيما التوعية بخطورة الغزو الفكري، ومكايد أعداء الإسلام بشتى صُورِهم وأشكالهم، وذلك ضمن محاضرات وندوات عامة، بالإضافة إلى تعاوُنٍ مستمر مع وسائِل الإعلام التلفزيونيَّةِ والإذاعيّة والكتابية.

ولما بلغ عُمْرُهُ سبعين عاماً، قضى نظام السنّ بإعفائه من العمل الرسمِيّ الأكاديمي في جامعة أم القرى. وفي هذه الأثناء اختير عضواً في (المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي) في مكة المكرمة، والتي كان والده سماحة (الشيخ حسن) عضواً فيها حتى وافاه الأجل رحمه الله. وعضواً في (مجلس هيئةِ الإغاثة الإسلاميّة العالمية) العليا والتنفيذية. وبعد تفرّغه من العمل الأكاديمي الرسمي اتّجه بما يملك من صحَّةٍ ووقتٍ

وقُوَّةٍ وجَهدٍ لتدبّر كتاب الله الذي كان قد بدأ به قبل ذلك، وفق المنهج الذي هداه الله إليه في كتـابه (قواعد التدبّـر الأمثل لكتاب الله عـزّ وجلّ)، وَوَفق ترتيب النزول، وهو منهج مبتكر فتح الله عليهِ به. وهو الآن منكب على العمل به، سائلاً الله تعالى أن يفتح عليه، ويُمدَّهُ بمَدَدِه، ليختمَ ما بقي من أجَله في خِدمةِ كتاب الله، واستِخراجِ كُنُوزِهِ التي لا تَفنَى لينتفع به المسلمون إلى يوم الدين بإذن الله تبارك اسمه.

* * *

ماذا يعني العلم والدعوة بالنسبة إليه؟

يعتبر العلم بالنسبة إلى (الشيخ عبد الرحمن) غذاءَ رُوحه، ومَعِين وجدْانه ينام معه، ويصحو عليه، فهو لا يُرى إلاّ قارئاً أو كاتباً، متعلّماً أو معلماً، متحدّثاً أو مناقشاً، فإذا كان خارج نطاقِ البحثِ العلميّ الجادّ، التفتَ إلى الشعر والأدب عامة، وأدَبِ المجالِسِ خاصَّة، فالوقتُ عنده أثمنُ من أن يُضيِّعه بتوافِه الأمور، وإنَّما هو أمانة وثروةٌ، يجب أن يستفيدَ ويُفيدَ منها، ونبراسه في ذلك قول الله عزَّ وجلّ: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الانشراح: ٧ـ٨].

وقد أكسبه ذلك خُلق الصّبر والدأب على العلم والعمل المتواصِل، «فالعِلْم بالتَّعلُّم، والحِلمُ بالتّحلُّم». الأمر الذي دفعه نحو مطالعات كثيرةٍ ومُتنوعـة، زوّدته بثروة علميـة غزيرة، وخبرة رفيعة المسـتوى ومُتنوِّعة الاتجاهات، جعلتْـهُ ينطلق في كتاباتِه ومُحاضراتِـه في أجواءٍ ذاتِ أسُسٍ عِلميّةٍ معرفيّةٍ راسِخَةٍ واسعةٍ مُتَعدِدَةٍ شاملة، ساعدتْه على التنوع في إبداعِهِ العِلميّ في مواضيع شتّى، استطاع أن يَخوضَ غِمَارَ بعضِها خوضَ رائدٍ مُبدِع، جعل الكثيرين يتسـاءَلُونَ: «أنَّى للشـيخ عبد الرحمن هذا البحر الزاخر من العلوم المتنوعة في مؤلفاته الشرعية والأدبية والتاريخية المتعلقة بـالحضارة الإسـلامية، والفلسـفة والمذاهب الفكريـة والغزو الفكري، بالإضافة إلى عمله أستاذاً في الجامعة، وأحاديثه الإذاعية المستمرة ونشاطه الدعوي ومحاضراته وإشرافه بنفسه على تربية ورعاية أفرادِ أُسرتِه!؟»، فهو مدرسـة خاصة قائمة بذاتها في عِلْمِه ومنهجِه. . تأليفاً ومنحى. . ابتكاراً واستنباطاً، وتحليلاً وربطاً.

وقد ساعَدَهُ على ذلك ما حَبَاهُ الله إيّاه من مَقْدِرَة تحليلية علميّة عاليةٍ، وحكمةٍ وحنكة في تقدير الأمور، وفراسةٍ في معرفةِ ما تنطوي عليه نُفُوسُ البشر وخَباياهم، دون أن ينخدِعَ بظواهِرِهِمْ، وما حبَاهُ الله إيَّاه من بُعد نَظَر وعُمْقٍ بصيرة في الأحداثِ والظواهر، والتطورات الاجتماعية بحثاً تحليليّاً كاشِفاً أسبابَها ودَوافِعهَا وأبعادَها، مقدِّماً الحلولَ النَّاجِعَة، وقايةً منها، وعِلاجاً لها، ومُوجِّهاً نحو العِظة والعِبرة من مُجرياتِها ونَتائِجها. وساعدَتْه خلفيّته الشرعيّةُ بالإضافة إلى تمكُّنه في العلوم العقلية في المنطق وأصول الفقه وخلفيّته اللّغوية في جميع فُنُونِ اللُّغة العربية، وثقافته المتنوعة ولا سيما في العلوم الإنسانية ـ ساعدَتْه على جدال الملحِدين وكشفِ أباطيلهم ومُغالطاتهم، والتصدّي لهم رغم كل التطورات والطروحات في هذا القرن!.

أمّا الدعوة والجهاد الفكري لخدمة الإسلام والرد على أعدائه فَهِيَ هدفُه الذي يعملُ لأجلِه، ويربّي طلاَّبه وأفراد أُسرتِه عليه. ويُتَوجُ ذلك كُلَّهَ بعُمْقِ صِلَتِه بالله عزَّ وجل. واعتقادِهِ الجازِمِ بأنَّه ليس مِنْ عندِه شيءٌ، وأنَّ كلَّ مايعملُه في سبيل الله، أو يقُولُهُ أو يَخُطُّه، هو من فيضِ الله عليه، ومدَدِه وتوفيقِه، وأنَّ الله لو أراد أن يمنع عنه مدَدَهُ وفتْحَهُ وتوفيقه لمَا تمكَّنَ مِنْ تقديمِ أيِّ جزءٍ يسيرٍ ممَّا فتحَ الله به عليه، لذلك فهو يشعر بحاجتِهِ الدَّائِمةِ، وافتقارِه المُستمِر إلى عطاءِ الله وعَوْنِه، ويُلِحُّ في الطلب بألاَّ يقطعَ الله عنهُ الفتحَ والمدَد. !!.

وهذا الأمر دفَعَه إلى أنْ يوطِّن نفسَه على جعْل عِلمِه خالِصاً لوجه الله تعالى، وحياتِه كلّها تدورُ في فَلَك خدمة دينهِ والدَّعوة إليه، فهو لا يفترُ عن الكتابةِ، ويُلبّي الكثير من المؤتمراتِ مثل مؤتمر التَّعليم الإسلاميّ، ومُؤتَمر الاقتصَادِ الإسلامي اللَّذينِ عُقِدَا في مكة المكرمة، ومُؤتمر الأدب

الإسلامي الذي عقد في (لكنهؤ) في الهند، ومؤتمر الدعوة والدعاة الذي عقد في المدينة المنورة، ويقومُ بإلقاءِ المحاضرات العامّة والأمسيات والندوات العلمية ضمن الأنشطة الثقافية داخِلَ جامعة أم القرى وخارِجَها. بالإضافة إلى مُسَاهماتِه التلفزيُونية واستمرارِهِ في أحاديثَ إذاعيَّة يوميَّة أو أسبُوعيَّة لمَا يَزيد على ثلاثين سنة.

ولشدة احترامِه للعلم وأهله فهو يبذل في سبيله بالإضافة إلى وقتِهِ وجَهدِه، ومصداقية دعوته، يبذُلُ مِنْ كُتُبِه ومَالِه قدْرَ استِطاعته، لِطُلَّابِ العِلم الإسلامي، والعامِلينَ في مجال الدعوة أسوة بأسلوب والده رحمه الله، وهذا المبدأ يَعتبره أهمَّ المبادئ التي يُربّى عليها طلَّابه داخلَ أُسرتِه وخارِجَها، لدَرَجةٍ يؤكّد فيها على أفرادِ أسرَته بأنَّه لو كان مُسجًّى على الأرض، وكان عليهم واجب دعوةٍ فإنّ عليهم أن يُؤدُّوا ذلك الواجب، ثم يلتفِتوا إليه، ويقوُمُوا بواجِبِهم تُجاهَه!!.

وهو يرى أنَّ على العُلماءِ والدُّعاةِ في هذا العصرِ بالذَّاتِ الذي تتصارعُ فيه القُوى العالمية.. أن يُكثِّفوا الجهود لتأسيس مبادئ الإسلام، وتعميقِ جُذُورِها في نُفُوسِ الأجيال الإسلاميّة، مع العمل بوعيٍ تامٍّ وجدٍّ ومُثابرةٍ لِحمايةِ الأمَّةِ الإسلامية مِن وَافِداتِ الغزو الفكري، وأن يضعوا خُطةً مضادةً ومُحْبِطةً لخُطّة الأعداء، وذلك بأنْ يعمَلُوا على غزوهم بالأفكار والمبادئ الإسلامية، لأنَّ هذا العصر هو عصرُ الفكرِ والإيديولوجيات التي تتصارعُ لبسطِ نُفُوذِها على العالَم واستنزاف خيراته!.

فإنْ كان أعداءُ الإسلام يُريدُون غزوَنا بأفكارِهم ومَبادِئهم التي تنضحُ بالشّرِ للقضاءِ على الإسلام وأهلِه، فمِنْ واجِبنا ونحنُ أمَّةُ رسالةٍ أنْ نغزوَهم بأفكار الإسلام ومبادئِه الخيّرةِ لنُنْقِذَهُم مِنْ شُرورِ أنفُسِهم، ونُنْقِذَ

العالَمَ مِن شُرورِهم، ونحقّقَ قول الله عزَّ وجلَّ فِينا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴾ [البقرة: ١٤٣].

* * *

منهجه العلمي في التأليف

يتَسَاءَلُ أهلُ الخِبرةِ والعِلم عن منهج (الشيخ عبد الرَّحمن) العِلمي في تـأليف هذا الكمّ المتنـوع مِن إصدارَاتِه العلميَّـة ـ بمعُونَة الله وفتحِهِ وتسدِيدِه ـ تلك المؤلفات التي جمعت بين القديم والحديث، والتَّخصُّص الدَّقيق مع بعضِ العُلُومِ الدُّنيويّة الأُخرى، والشموليّةِ مع التحليل والتركِيزِ، سواءٌ في العلوم التي كان رائداً فيها، مثل كتـابه في أصول التفسير (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ)، وسِلسِلَةِ كُتُبِه في الغزو الفكري، أمْ في العُلُـومِ التي أصَّلها، وقعَّدها مثلِ: كتـابه (العقيدة الإسلامية وأُسُسها)، وكتـابه (الحضارة الإسـلامية وأُسُسها)، وكتـابه (الأخلاق الإسـلامية وأُسُسها)، وكتابه (البلاغة العربية، أسسها وعلـومها وفنونها وصور من تطبيقاتها)، وكتابه (فقه الدعوة إلى الله، وفقه النصح والإرشـاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وكتب الثقافة الإسلامية، أمْ في العلوم المختلفة الأخرى التي خاض غِمَارَها . . .

وباعتباري ملازمةً له في مُعظَم مسِيرتِه العِلميَّةِ والدَّعويَّةِ منذ ثُلثِ قرنٍ تقريباً مُلازَمَةَ الطالب لأستاذِه، فإنّي أرى من واجبي أنْ أُبيّنَ منْهَجه العلميّ في التأليف الذي ربَّى طلاَّبهُ عليه، ليستفيدَ منه كلُّ طالبِ عِلمٍ، ويُفيدَ غَيرَهُ به. ويتلخَّصُ منهجُهُ العلمي بالنقاط التاليات:

أولاً: بعد أنْ يُحدّدَ الهدفَ من الكتاب، يسـير بخطواته المنطقيـة بتعريف موضوع كتابه، ثم يُجَزِّئ صعوباته، ويجمع متفرقات الأفكار

والنصوص جمعاً تلاؤمياً ليصوُغَ منها مخططاً عامّاً للكتَاب وأُسُسِه، ثم يتناول جزئياته من أبوابٍ أو فُصُول أو مواضيع، كل واحد منها على حدة، فيبحث عناصره بحثاً مستفيضاً مُستقلاً وكأنه كتابٌ مستقل. . ممّا يُضفِي على كتاباتِهِ التَّحدِيدَ والدِّقَّة إلى جانِبِ الشمُولِ والعُمق!، ومن ثمَّ يربطُهُ بسائِرِ فُروع البحثِ بنظامٍ شجريّ رائع. بدءاً من جذور البحث إلى سُوقِه ففُروعِه فأغصانِه فثِمارِه.

ثانيـاً: يتناول في معالجته لمواضيعه كافةَ جوانِبَها، كاستِخلاصِ بعضِ البلاغيات أو الأخلاقيات أو العظات والعِبَر، أو الربط التاريخي، حسبَ نوعيةِ الكتاب، أو البحث الّذي بينَ يَدَيْهِ وأهدَافه. كما يهتمُّ ببعضِ الرُّسوم الإيضاحيَّة إذا لَزِمَ الأمر.

ثالثـاً: حينما يحتاجُ إلى الاستعانةِ ببعضِ المعلُومَاتِ المتعلقة ببحثه فإنَّه يرجع فيها إلى الكتب الأصُولِ لأخذ المعلُومَةِ مِنها، ولا سِيما في كُتُبِهِ التي تتناول بعض العلوم الدنيويّة، التي ليست أصلاً مِنْ مجالِ اختِصاصه، وذلكَ تحرِّياً للأمانة العلمية والدِّقةِ ومِصْداقية كلّ ما يكتب أو ينقُل!، حتّى في العلوم الدينية، فهو لا يكتُب حتى صغار السور، دون الرجوع إلى القرآن الكريم، ولو كانتْ فاتحة الكتاب!.

رابعـاً: يحرِصُ دائماً أنْ يُلْبِسَ الفكرة الثوبَ المُلائِم لها بدقَّـة، مُتحاشِياً استخدامَ ألفاظٍ تهويليَّةٍ، ليكونَ المضمونُ مُطابقاً لقالبه اللفظيّ، دُون زِيادَةٍ تُوقِعُه في الحَشْوِ الغَثّ الّذي يُعتبر من فُضُولِ الكلام. ودُونَ نقصٍ يجعلُـه خديجاً!، مع شـدَّةِ اهتِمامِهِ بالضَّبطِ النَّحـويّ واللُّغـويّ، لنفسه، ولكل من يعلّمُه أو يستفيد منه.

خامساً: تحرّيه الدّقيق لِمعرفةِ معاني الألفاظ بالرُّجُوع إلى أُمّهاتِ معاجِم اللُّغة مع بيانِ استِخداماتِها المختلفة، إذا اقتضى الأمرُ ذلك.

سادساً: تأكيدُهُ مع حِرصِه الشَّديد على استخدامِ ألفاظ القُرآن والسُّنَّةِ ما استطاع في كتاباته حِفاظاً على الدِّقَّةِ، والرَّبطِ بالأصول الدينية الإسلامية اللُّغوية، والتّميُّز بالثقافة الإسلامية الأصيلة ومُفرداتِها.

سابعاً: في كُتُبِه الَّتي تتعلَّقُ بِأحَكامٍ فِقهيَّة، يلجأ إلى ما يترجَّحُ لدَيْهِ بالدليل الشَّرعيّ، دُونَ تعصُّبٍ لمذهبٍ مُعيَّنٍ، فما يترجَّحُ لَدَيْهِ يُثبتهُ، ولو خالف مثلاً المذهب الشافِعيَّ الَّذي دَرَسَه، وكان يُدَرِّسُه لِطلاَّب معهدِ والدِه رحمهُ الله.

ويتحرَّجُ جداً مِن إصدارِ (أحكامِ الوجُوب) أو (أحكام التحريم) ما لم تكُن قوَّةُ الدَّليلِ كافيةً لإثبات الوجوب، أو إثبات التحريم. ويهتم ببيان درجاتِ الواجبات فيما بينها، والمحرَّماتِ فيما بينها، ذواتِ النِّسبِ المتفاوتات، فلا يجعل مثلاً واجبَ ردِّ السَّلام بدرجةِ الصَّلاةِ الواجِبة، ولا يجعلُ مثلاً حُرمة النظر إلى المرأة الأجنبية، ولا مُصافحتها، بدرجةِ حُرمةِ الزّنى! أو ما هُو قريبٌ منه. ولا يأخذُ بأسلُوبِ التشدُّد بإنكارِ المحرَّماتِ الصغرى!، لكنَّه يهتمُّ جِدّاً بإنكارِ المحرَّماتِ المتفقِ على تحريمها من الكبائر.

وما يرى فيه عند الفقهاء من اختلافٍ له حظٌّ من النظر فإنَّه يلجأُ إلى التَّسامُحِ مع مُخالِفيه في الرأي الاجتهاديّ.

ثامناً: ومنهجُهُ في مُناظرةِ الآخرين، أن يحترمَ أراءهم، ويُناقِشَها بشكلٍ موضُوعيّ وبجديّةٍ تامّة، ولو كانت أراؤهم ضَحْلَةً أو حتَّى لاتستحقُّ المناظرة، لإيمانِه بوجُوبِ توصيل الحقيقة إلى مَنْ يجْهَلُها، رجاءَ أن يُقنِعَ بالحق، وإذا رأى عند المناظر جواباً مقنِعاً أعلنَ صحتَهُ، ولو كان مُخالفاً لمَا كان يعتقِدُه، ولا يلجأُ إلى أُسلوبِ المراوغةِ والْغوغائِيَّة والسَّفْسَطَةِ، إنَّما يُقدِّمُ ما هُو مُقتنعٌ به، وبالحُجَجِ التي يراها صواباً.

تاسعاً: من عادَة (الشيخ) أنَّهُ يضعُ إلى جانبِ رُكنِه المخصَّصِ للكتابة أساسياتِ ما يحتاجُه للتأليف. كأمَّهاتِ كُتُبِ اللُّغة، من معاجم أو نحو أو صرف أو بلاغةٍ، والمُعجم المفهرس لألفاظِ القُرآن الكريمِ، والسّيرةِ النبوية، وبعض المراجعِ الفِقهيّة والحديثية، وبعض كُتُب القراءات، وما أشبه ذلك، لِتكُونَ بين يديْهِ مرجعاً سَرِيعاً. بالإضافةِ إلى المراجعِ الَّتي يحتاجُها في تأليف الكتاب، أو البحث أو المحاضرة، أو النَّدْوَةِ، أو المؤتمر الَّذي سَيُشاركُ فيه.

عاشراً: من عادَته أيضاً أنْ يضعَ إلى جانِبه مُصنَّفاتٍ، احتياطِيَّةً يُخصِّص كلاًّ منها لمشروُع مُؤَلَّفٍ مُستقبليّ، وذلك ليحتفِظَ في كلٍّ منها على حِدَة بأيَّةِ فِكرةٍ تطرأُ على ذِهنِهِ حولَ هذا المُؤَلَّفِ، وإذا خطرتْ لهُ الفِكرةُ أثناءَ استعداده للنَّوم، فهو يُسارِعُ إلى تسجيلها. كما يُسجِّل أيَّة معلومةٍ تقعُ بين يديهِ ممَّا لهُ علاقةٌ بموضُوعه، في تصوُّراتهِ المستقبليّة، وحِينما يختمِر الموضوعُ في ذهنهِ، ويتفرَّغُ له يشرعُ في تألِيفهِ، بعد أنْ تكون قد تجمَّعت لديه حصيلةٌ عِلميّةٌ وافرة حولَ هذا الموضوع، ما كان بإمكانِه جمعُها دُفعةً واحدةً حين الشُّروعِ في كتابتِه، وبذلك تكونُ هذه المقتطفاتُ المدخراتُ دون عناءٍ نواةً لكتابٍ جديد، يحوي أفكاراً ومعلوماتٍ جديدات ليست فجَّةً ولا ناقصة، بلْ مكتملة ناضجة مُتقنة صالحة لأنْ تُقدَّم للمثقّفين ثقافةً إسلامية رصينة.

حادي عشر: يحرص باستمرار على استخراج ما لم يُسبقْ إليه في كل بحثٍ يُعالجُهُ، ولا سيما المواد الّتي يُسندُ إليهِ تدريسُها، كما فعل في الحضارة الإسلامية التي ألّف لها كِتاباً فريداً في ابتكاراتِه، وهو كتابُ (الحضارة الإسلامية وأسسها) وكما في مادَّة دِراسات أدبيّة من القُرآنِ، ومادّة درَاسات أدبية من الحديث. وكلّ موادّ الغزو الفكري التي ألّف لها (سلسلة كتب أعداء الإسلام).

ثاني عشر: يتحرّى في مؤلفاته المواءمة التحليليّة بين المفهومات الإسلامية الصحيحة، وبين الحقائق التي توصَّلتْ إليها العُلومُ الكونية المختلفة، والأسُسِ العقلية السّليمة.

* * *

دوْرُ العقيدة الإسلامية في مسيرة حياة
الشيخ عبد الرحمن ومَنْ ربَّـاهم

لعلّ الاهتمام الأوّلَ المسيْطر على حياة (الشيخ) هو عقيدَته الرّاسخة الّتي حاولَ تأصيلَها وتأسيسَها بمعاني إيمانيّةٍ اعتقدها، وجعلها نُورَهُ الّذي يهتدي به، وركَّز عليها، فكانت دَوافِعَهُ في مسيرةِ حياتِه كُلِّها . . وأكّدَها في كِتاباتِه ولاسيما في سلسلة (في طريق الإسلام) وعلّمها وأصّلها لِمَنْ تحت يدهِ، وربّى وأسّسَ أفرادَ أُسرَته عليها . . وذلك لقناعته التَّامَّةِ بأنَّ سبَبَ الخلَلِ والانحراف الأساسيَّين في سُلوكِ النَّاسِ يرجعُ إلى تعطيل الدَّافع الإيمانيِّ تعطيلاً تامّاً، أو ضعفِهِ في جُذُورِ نفوسهم. وتتلخص مبادئه العقديّة بما يلي:

أولاً: إدراكُ المعنى **العَميقِ للإيمان بالله**، وفق صِفاتِه وأسمائه الحسنى، وأنَّهُ هو خالِقُ ومالِكُ كلِّ شيءٍ، وبيده كل شيء، وليس كمثْلِهِ شيء . .

ومن هنا تتوطَّنُ الصلة العميقةُ بالله عزَّ وجلّ، وربطُ القلبِ بهِ ومحبَّتُهُ، ومُراقبتُهُ وطلبُ مرضاتِه في كلّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، واعتقادُه بأنّ ما يأتي مِنَ الله هُو دائِماً خير سواءٌ كان ظاهرهُ ساراً أم غير سارّ.

ثانياً: **الإيمانُ بقضاءِ اللهِ وقدَرِه في كل أمرٍ** خارج عن إرادةِ الإنسانِ، مع التَّسْلِيم الكاملِ، والرِّضى التَّام عمَّا تجري به المقاديرُ، سواءٌ كان

ظاهرها خيراً أم شرّاً!، مع اعتبار ذلك كلّه من حِكمةِ الله عزَّ وجلّ، الّتي لا تستوعِبُها مدارِكُنا القاصرة.. ويضرب على ذلك مثلاً بقصّة (يوسُف) عليه السلام، وكيف كان الجبُّ الَّذي ألقاهُ أخوتُه فيه طريقاً إلى المقامِ الرّفيعِ الّذي قضاهُ الله لهُ في مصر.

ثالثاً: تأكيدُهُ الدائم وتأصِيلُهُ على أن الغايَةَ من خلقِ الإنسانِ هي (**الابتلاء**) والامتحانُ في ظروف هذه الحياة الدنيا، وأنّ الجزاء على عملِهِ هو في اليوم الآخر، وتأصِيلُ هذا المعنى الاعتقاديّ يُولّدُ معاني ومشاعِر ثرّةً تطمَئِنَّ إليها النَّفْسُ البشريَّةُ متى أدركتْ حِكمةَ الابتلاءِ بالخير والشر في الدنيا، والجزاء في الآخرة.

رابعاً: التأكيدُ على **الإخلاص** لله في الأعمالِ كُلِّها، والنّية الصادقة الصافية، ولا سيما ما كان منها في طريق الدَّعوةِ والجهاد في سبيلِ اللهِ. مبيّناً أنَّ مَنْ يصدُقُ مع الله يصدُقُ الله معهُ، ومثلُه الأعلى في الإخلاص، وربطِ القلب الدائم بالآخرة الأنبياء الثلاثة (إبراهيمُ وإسحاقُ ويعقوبُ) عليهِمُ السلام، الّذين خصّهم الله بقوله في كتابه العزيز: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [سورة صٓ: ٤٥ ـ ٤٧].

خامساً: اعتقادُهُ وتأكيده الدائم على نِسبَةِ كلّ إبداعٍ أو عملٍ صالح أو توفيقٍ **لفتح الله ومدَدِهِ**..!، وهو يعتبرُ نفسَهُ كمثلِ حُفرَةٍ في الأرض ينْزِلُ عليها غيثُ السَّماءِ، فما تجمّع فيها مِنْ صفاءٍ فهو مِنْ عطاءِ اللهِ، وما فيها من كَدَرٍ فهو مِنْ حُفرتِه!.

سادساً: نِسبتُهُ كلَّ مشكِلةٍ يقع فيها أو مُصيبةٍ **إلى تقصيره بحق الله**، لذلك فهو دائم المراجعةِ لنَفْسِه، وإعادَةِ الحساباتِ معها، ومُحاسَبتها!.

سابعاً: صِدقُ صِلَتِه بالله، وطلَبِه لمرضاتِه، جَعلَهُ يُسيِّر حياتَه كُلَّها

وَفْقَ قنواتٍ إيمانيّةٍ إسلاميّة بحتة، وشعاراتِ ربّانيةٍ، تشُدُّه دائماً إلى ربطِ كافّةِ أعمالِهِ، ولا سيما ما كان منها مع البشر، بمبدأٍ يردِّدُه ويُطبّقُه ويُعلّمُه ويكتبُه في مؤلفاته، وهو: «**أن يتعامل مع الله مِن خِلاَلِ البشَر**».

وهذا المبدأ يجعلُهَ يأْخذُ بمفهوم الإياسَ مِمَّا في أيدي النَّاسِ، كما يجعلُهُ يُوحِّدُ جهَةَ الطَّلبِ والهدفِ، وكُلُّه قناعةٌ بأنّ مَن عَمِلَ لوَجهِ اللهِ كَفَاهُ الله الوُجُوهَ كُلّها. لذلك فهو لا ينتظِر من الناس شيئاً، ولا يعتب عليهم مهما قدَّمَ لهُمْ، بل ويتحمَّل أذاهُم بحلْمِهِ ورُشدِهِ، إذ يُتاجر مع ربّه، ويشكر الله أنَّه ليس على شاكِلتِهم، مُردّداً قوله تعالى:

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٤]. ويحتسب أعمالَه كلَّها عِنْد اللهِ، واللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يشاء!، ولا يخفى ما لِهذا الاعتقادِ مِن أمنٍ نفسيّ، وراحةِ فِكر، وطمأنينة قلب، وتفريغِه من أمراض الغِلّ، حِقداً وضغينَةً وحَسَداً، بل إنَّه ينظُر إلى من ابتُلوا بسوءِ خُلُقِهم أو سُوءِ سُلُوكهم نظرة مُشفقٍ لا ناقد، وهو يشكرُ ربَّهُ لأنَّه ليس على شاكِلتِهم!، وهكذا أيضاً حينما تُواجهُهُ الابتلاءاتُ الرَّبَّانية في نقصٍ أو مُشكِلةٍ في مالٍ أو مركزٍ أو جاهٍ أو صحةٍ أوْ ولدٍ... فهُو يُواجهُ ذلك بتسليم كاملٍ، وإيمانٍ بحكمةِ اللهِ عزّ وجلَّ وعدْلِه، واعتبارِ أنَّ كُلَّ ماتُجريه المقاديرُ الرَّبانية عاقبتُه خيرٌ، مُحتسباً كعادتِه ذلك كُلِّه عندَ اللهِ، مع الالتجاء إلى اللهِ أن يصرِفَ عنه السوءَ، ويردَّ كيْدَ الكايِدين إلى نُحورهِم.

ثامنـاً: حِينما يَعقِدُ العزمَ على القيامِ بعملٍ، يلجأ إلى سُنّة الله تعالى بالأخذ بالأسباب، أسبابِ العمل الّذي يُريدُ أنْ يُحقق نتائِجَهُ. فمثلاً في حالِ طلبِ الشّفاءِ من مرضٍ، لابُدَّ من اتّخاذ الأسبابِ الماديّة بالمشُورةِ مع تناوُلِ العِلاج، ومعَ التوكُّلِ على الله بالمعنى القلبي الإيماني الصَّحيح، نيَّةً وتوجُّهاً... لاعتقادِهِ بأنَّ الأسبابَ لا تعمل بحدِّ ذاتِها، وإنَّما الفعَّال

الحقيقيُّ هو الله تعالى، ساتِراً أفعالَهُ بقنواتِ الأسباب! ، ونحن باعتبارِنَا بشراً مأمُورُونَ باتِّخاذِ الأسباب، وهذه هي عقيدةُ المُسلِمِ الوسطيَّة الصحيحة، التي لا توسِّعُ مفهومَ التوكل على الله فتجعَلُه يشملُ إهمالَ اتّخاذ الأسباب، كما يفعلُ الّذين ليس لديهم فهمٌ صحيح لمبدأ (الإيمان بالتوكل على الله!).

كما أنَّها لا تجعلُه يأخذُ بمبدأ (السَّببيّين) الذينَ يَنسَوْنَ أو يتنَاسَوْنَ الفعّال الحقيقيَّ، فلا يتوكَّلُون عليهِ بقلُوبهم، مُكتفِين بالجانِبِ السَّببي فقط، مع أنَّ الإسلام الحقيقيَّ يجعلُ التوكُّل الحقيقي وظيفةً مِن وظائِف القُلوبِ، ويجعلُ الأخذَ بالأسبابِ وظيفةً واجبةً من وظائفِ أعمالِ الجوارِح.

تاسعاً: وهذا ينقُلُنا إلى مبدأٍ إيمانيٍّ آخر، وهو **اعتقاده في سُنَن الله الكونيَّةِ الاجتماعيَّة**، فيتخذ ما جَعلَ اللهُ في كونِه من أسبابٍ لتحقيقِ مُسبَّبَاتِها. . من خلال التَّعامل مَعَها بموضُوعيَّةٍ تامَّة.

عاشراً: اعتقادُهُ الجازِمُ «**أنَّ مَن ترَكَ شيئاً للهِ عوَّضَهُ اللهُ خيراً مِنْهُ وأبقَى**» وقد طبَّقَ هذا في حيَاتِهِ كلِّها، حتّى في جميعِ حُقُوقِهِ، ولم يُخيب الله لَهُ الأمل، فيمَا اعتقدَ وعَمِل.

* * *

مبادؤه التربوية وسيرته
مع من ربَّـاهُمْ ومع أهله

إنّ مبادئ التربية وفلسفتها لدى الأمم والمجتمعات والأفراد يجب أن تنبع من عقيدتهم، وتتساوق مع مبادئهم وقِيَمهم، لذلك لم يقتصر عمل (الشيخ عبد الرحمن) على تطبيق أسس عقيدته المستقاة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، في حياته الخاصة، وتأصيلها في كتاباته، بل غرسها ونماها ورعاها، في نفس كل من كتب الله له أن يكون ضمن دائرة من ربّاهم، من خارج أسرته، أو من داخلها من زوج أو ولد، أو ممّن كان وثيق الصلة بهم في صحبة أو زمالة أو عمل.

وتتلخَّص معظم مبادئه التربوية بما يلي:

أولاً: أخذه بالأولويات في تربيته، وإعطاؤها الاهتمام الأول، والرعاية من الدرجة القصوى. كتأسيس القاعدة الإيمانية في النفوس، ولا سيما في ركنيها الأساسيين (الإيمان بالله وقضائه وقدره، والإيمان باليوم الآخر)، مع التأكيد والتركيز على إدراك مفهوم (الابتلاء) في هذه الحياة الدنيا، وتمثّله قولاً وعملاً وهدفاً وأملاً للجزاءِ في الآخرة.

ثانياً: أخذه بمبدأ عدم التشديد في الأمور كلِّها، والأخذ بالأيسر ما لم يكن إثماً، أخذاً بتوجيهات السنّة المطهرة.

ثالثاً: تطبيقه لمبدأ الرفق واللّين في تربيته عملاً بقول الرسول ﷺ:

«إنَّ الرفقَ لا يكون في شيءٍ إلاّ زَانَهُ، ولا يُنزَعُ من شيءٍ إلاّ شانه»[1].

وقولـه: «ألاَ أُخْبِرُكُم بمن تحرم عليـه النار غداً، على كل هيّنٍ لينٍ قريب سهل»[2].

لذلك فهو يأخذ بطريقة الحزم الحكيم لتحقيق ما يرى فيه مصلحة من يربِّيه، وليس بطريقة الشـدّة الصارمة، ويردّدها ناصحاً قولـه: «كن حازماً ولا تكن صارماً»، **فالحَزْمُ** بمثابة شدّ الحزام على بطن الفرس حتى لا يسقط السرج، ولا يسقط ممتطيه. أما الصَّرْمُ ففيه قطع ما بين المربي وبين من يقوم بتربيته، والقطع أمر لا يليق بالمربي الرشيد أنْ يصل إليه. وشعرة (معاوية) ينبغي أن تبقى بينهما مهما حدَث.

رابعاً: يُفضّل اللجوء إلى التربية بأسلوب التوجيه غير المباشر قدر المستطاع. تفادياً لعقبات النفس الصادة، من قبل من يربيهم أو يوجههم أو ينصحهم. كـأن يلجأ إلى عرض الفكـرة التي يريـد أن يـوصّلها، أو يرسّخها بأسلوب التساؤل، أو ضرب المثل الملائم للموضوع، وهو أسلوب قرآني نبوي يضيق المقال عن ضرب أمثلة عليه. أو بقيامه هو نفسه بممارسة القدوة الحسنة، أو بروايتها عن الرسول ﷺ. أو عن الأنبياء أو عن الصحابة أو الصالحين، أو باللّجوء إلى قصة رمزية أو واقعيّة لها علاقة بالموضوع... إلى غير ذلك من أساليب غير مباشرة.

خامساً: يأخذ أحياناً بأسلوب التربية مع الأحداث، حينما تدعـو

---

(١) رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها: ٤/ ٢٠٠٤ ح٢٥٩٤.

(٢) رواه أبو يعلى عن جابر، والترمذي والطبراني عن ابن مسعود وأحمد وابن حبان والطبراني في الأوسـط، وصححه الألبـاني؛ انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته: ١/ ٥٠٩ ح٢٦٠٩.

الحاجة إلى ذلك، وتسنح له الظروف، أخذاً من بعض أساليب القرآن الحكيمة، كما نرى في سورة (النور) من توجيهات تربوية وأحكام فقهية نزلت إثر وقوع (حادثة الإفك).

وأسلوب الرسول ﷺ في تربيته لمنْ حولَهُ في بعض المواقف؛ فعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ يهودَ أتوا النبي ﷺ، فقالوا: «السام عليكم»!! فقالت عائشة: «عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم»، قال: «مهلاً يا عائشة عليك بالرفق، وإياك والعنف والفُحشَ»، قالت: «أو لم تسمع ما قالوا؟» قال: «أو لم تسمعي ما قُلتُ، رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يُستجاب لهم فِيَّ!!؟»[1].

سادساً: وهذا ينقلُنا إلى مبدأ آخر من مبادئ (الشيخ عبد الرحمن) التربوية، وهو تحاشيه لألفاظ الفحش في الكلام خلال تربيته وتوجيهه، أخذاً بقوله تعالى:

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقول الرسول ﷺ: فيما رواه عنه أبو الدرداء رضي الله عنه: «ما شَيء أثْقَلُ في ميزَانِ المُؤمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالىٰ يُبْغِضُ الفَاحِشَ البذِيْءَ»[2].

سابعاً: لا يُثقل على من يربيه أو يقع تحت دائرة رعايته من طالب أو زوج أو ولد أو خادم ممن له عليه سلطة الولاية أو الرعاية، إذ يتحاشى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٥/ ٢٢٤٣ ح٥٦٨٣.

(٢) رواه الترمذي والطبراني في الكبير عن أبي الدرداء، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٢/ ١٩٨٤ ح٥٦٣٢.

التدخل في كل صغيرة وكبيرة من أعماله وحياته.

لذا فهو لا يتدخل في مجالات تخصص الآخرين، فمثلاً إنه لا يتدخل في شؤون المنزل التي هي في الأصل من مهمة زوجه، كما أنه لا يجبر أحداً ممن تحت سلطته على ما يكره ما دام الأمر يتعلّق بشخصه وخصوصياته، كالتخصص في الدراسة مثلاً، ومبدؤه في ذلك (كلٌّ مُيَسَّرُ لِمَا خُلِقَ لهُ)، أو في أمر كالزواج الذي يعتبر من حقوق الإنسان الشخصية، ويقتصر دوره على تقديم النصح والإرشاد والتوجيه، إلا إذا وجدَ أن الوضع يمسّ أمراً مما حرّمه الله.

ثامناً: يأخذ بمبدأ عدم التَّعنّت والتشديد والتكْليف فوق الطاقة مع طلابه أو أفراد أسرته أو أرحامه أو موظفيه أو من تحت يديه. تمشّياً مع مضمون الدُّعاء الذي روتْهُ السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ:

«اللهم من وَلِيَ من أمرِ أُمَّتي شيئاً فشَقَّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أُمتي شيئاً فرفقَ بهم فارْفُقْ به»[1].

حتى إنّه لا يكلف أحداً شيئاً لنفسه من طالب أو زوج أو ولد، ويفضل قضاء حوائجه بنفسه، ويتلمس الأعذار لمن حوله إذا وجَدَ منهم تقصيراً. لذلك فهو بصورة عامة لا يكلف أحداً شططاً في أمور تتعلق بتوجيههم أو تربيتهم اتباعاً لقوله عزَّ وجلّ:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا . . .﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وأخذه بمبدأ: «إذا أردت أن تطاع فَمُر بما يستطاع».

تاسعاً: من المبادئ التي يطبقها في تربيته وتعامله مع الناس «مبدأ

---

(١) رواه مسلم وأحمد. نقلاً عن صحيح الجامع الصغير وزيادته: ١/ ٢٨٠ ح١٣١٢.

التغاضي والتَّسامح»، عملاً بقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

وقوله في سورة (النور): ﴿ . . . وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢]. ويربط ذلك كلّه بمبدأ الابتلاء ضمن ظروف الحياة الدنيا مردداً قوله تعالى: ﴿ . . . وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٠].

عاشراً: إن من أساليبه في التعليم والتربية، أن يطرح الأسئلة على من يحدّثُهم، ليحرّك أذهانهم للإجابة عليها، إذ تستيقظ الذاكرة والمحاكمة العقلية، وتتلاقح الأفكار، ويدلي كلٌّ منهم بدلوه، فإذا وجد الإجابة أو قريباً منها، أثنى عليه، وأتمّها، وثبّتها في أذهان الجميع، وقد تكون الإجابة الصحيحة عبارة عن جزئيات إجابات من يُعلّمهم، فيلملم مفرداتها ليصوغها لهم صياغة تامة، وهو يُشعِرهُم بأنهم هم قد اكتشفوها، وإذا لم يصلوا إلى الإجابة الصحيحة؛ قدمها لهم بعد أن يكونوا قد تشوقوا إلى معرفتها، ومن ثمَّ رسخت في أذهانهم.

حادي عشر: من مبادئه في التربية، القيام بعمل ما يَدْعُو غيره إليه، ليكون لهم أسوة حسنة من جهة، ولِئلاّ ينطبق عليه قوله تعالى في سورة (البقرة): ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

ثاني عشر: يُربّي مَنْ حوله على حُسْنِ الاستفادة من أوقاتهم، والدأب في عملهم، وَفق المبدأ الذي يمارسه بنفسه ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ [الانشراح: ٧ ـ ٨]. وهو يدفعهم إلى عدم الاستهانة بأيّة فرصة زمنيّة مهما قل شأنها، دون ملئها بعلم أو عمل نافع، أو قراءة أو كتابة

ما فيه خيرهم وخير أمّتهم ودينهم، ويضرب لهم مثلاً دائماً بأن الحوض مهما كان واسعاً، فهو عبارة عن مجموع قطرات ماء، وهكذا حوض العلم والمعرفة!، لذلك فهو لايترك فرصة سانحة مع أفراد أسرته أو مع من يربيهم أو مع صَحبه دون أن يغتنمها في مناقشة عِلمِية، أو توجيهٍ تربويّ، أو دعوة إلى خير، بطريقة لا تدخل المللَ إلى نُفُوسهم، إذْ يتّبع الأسلُوب النبويّ بأن يتخولهم في الموعظة مخافة السأم، وقول الرسول ﷺ لحنظلة الأسيدي: «. . . ولكن يا حنظلة ساعة وساعة!»[1]، لذا فهُو يحاول إدْخالَ بعضِ الترفيهِ على نُفُوس جُلَسَائه أو مَنْ يُربّيهم بإيراد لَطائف منتقاة، أو بِمُزاحٍ فيه مداعبةٌ للنفوس، أو برواية قصص أو حوادث مسلّية يتحيّنها حسب ظروف جلسائه ومن يوجههم، لتُدْخِل السُّرور عليهم، وتجدد نشاطهم الفكري والنفسي.

وقد ساعده على ذلك كله ما حَبَاهُ الله إيّاه من حسنِ خلقٍ، ولينِ جانبٍ، وحسنِ عشرةٍ، وحكمةٍ، وصبرٍ، ورُشْدٍ، ودَمَاثةٍ، وتواضُعٍ جمٍّ. ومحاوَلةِ التأسّي ما أمكنهُ بشمائل الرسول ﷺ، ولا سيما مع أهله. إذ يحاول أن يكون من خير الناس لأهله، وأفكهِ الناس مع أهله، وأن يكون بمهنة أَهله، وأن يعطي كل ذي حقٍ حقّه من أفراد أُسْرَتِه وأرحَامه. . فهو معهُم يطبق ما يرشد إليه الناس إذ يسعهم بحسن خلقه، يوقّر كبيرهم، ويَرحَمُ ضعيفهم، ويُحسنُ التعامُلَ مع مُراهِقيهم وشبابهم، ويتفهم نفسيّة المرأةِ، ويتعامل معها بحسبها. أمّا الأطفال فلهم منه النصيب الأوفى مُلاطفةً ومُداعبةً وتَوجِيهاً وتسليةً.

وممّا ساعَدَهُ على التفرغ للعلم والتوجيهِ والدَّعوة عدمُ تعلُّقه بالدنيا وزينتها، وابتعاده قدر المستطاع عن الشهرة والأضواء، وإخلاصُهُ الشديد

---

(١) رواه مسلم: ٤/ ٢١٠٦ـ٢١٠٧ ح٢٧٠٥.

طلباً لمرضاة الله في عملـه، وتواضعه الجمّ في كل أمـور حياته وتعليمُه ذلك لمن تحت يده، وهو يردد دائماً:

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

وهو يصرح دائماً بأنه لولا أُسْرَتُه لكفته غرفة إلى جانب مسجدٍ فيها مكتبته وأدوات كتابته، فحسبه ذلك من متاع الحياة الدنيا!!.

وإن أخلاقه هذه يلمسها القاصِي والداني ممن رباهم أو وجَّهَهم أو صَادقَهُم أو عرفُوه عن كَثَب وعَرَفهم، وأنا بصفتي زوجته، ورفيقة كفاحه أشهد وأنا صادقة إن شاء الله، بأنه نعم الزوج، ونعم الأب، ونعم الولد البار بأهله والوفي لصحبه. والمانح الخير للناس جميعاً، جَزَاه الله عنا خير الجزاء في دار الفناء، وجعل ذلك كله في ميزان حسناته في دارِ الخُلْدِ والبقاء.

* * *

ما فتح الله به عليه من اكتشافات كلّيّةٍ
في فهم الدّين والقرآن الكريم
وبعض العلوم الأخرى

أولاً: تأصيل المفاهيم الدينية:

أ ـ تأصيل أركان الإيمان وترابطها انطلاقاً من صفات الله عزَّ وجلّ.

ب ـ تأصيل مفهوم الغاية من وجود الإنسان: في الحياة الدنيا وهي (الابتلاء)، الذي يستلزم بمقتضى حكمة الله عزّ وجلّ الحساب وفصل القضاء، وتنفيذ الجزاء يوم الدين.

جـ ـ اكتشافه بنظراته الكلية الجامعة **أن الإسلام وحدة كلية في شجرة تكامليَّة** بدءاً من جذور المفهومات الإيمانية، حتى سائر أنواع السلوك الإرادي داخل النفس وخارجها، من أفعال وأقوال، وهي جميعها مشمولة بأحكام الإسلام الخمسة:

(الواجب ـ الحرام ـ المندوب ـ المكروه ـ المباح).

مع ما فيها من تفاضل في درجات كلٍّ منها.

د ـ تأكيده على أن الإسلام منهج وسط لا غلوّ فيه ولا تفريط.

ثانياً: عنايته الشديدة في خدمة كتاب الله عزَّ وجلّ:

أ ـ استخراجه من الآيات وحتَّى الكلمات معاني عميقة لم يُسبقْ إليها.

ب ـ اعتماده في كلِّ مؤلفاته وأبحاثه على **بحث ما في كتاب الله مما يتعلّق بموضوعاته.**

جـ ـ إنَّ تعامله مع كتاب الله في كل موضوعات كتاباته جعلته يستنبط **أربعين قاعدة**، وهي تساعد على تدبر كتاب الله تدبّراً دقيقاً، وهذه القواعد تصلح لأن تكون علماً مبتكراً، يمكن أن يسمّى (أصول التفسير) أو (أصول تدبّر كتاب الله).

د ـ **متابعته لفهم** كتاب الله عزّ وجلّ **وفق خطّين:**

الخط الأول (وحدة موضوع السورة القرآنية).

والخط الثاني: دراسة الموضوعات المنبثّة في القرآن كلّه دراسة تكاملية، تُظهِرُ الوحدة الموضوعيَّة لكلٍّ منها، كما جاء في كتابه حول «النفاق والمنافقين في القرآن»، والقصص القرآنية للرسل وأقوامهم، كما في كتابه «نوح عليه السلام وقومه في القرآن الكريم».

هـ ـ تمكُّنهُ وتمرّسه باللغة العربية وعلومها بالإضافة إلى ما كتبه في فنونها مثل كتابه (البلاغة العربية وأسسها)؛ ساعده على الغوص في بحر القرآن للاستخراج من درر معانيه الدقيقة.

و ـ ومن عنايته في خدمة كتاب الله فقد استخرج لعلم البلاغة فنوناً بلاغية أضافها في كتابه (البلاغة العربية ـ أسسها وعلومها وفنونها) وهي:

١ ـ التنويع في أساليب البيان القرآني.

٢ ـ التكامل في أساليب البيان القرآني.

٣ ـ منهج البيان القرآني في حكاية الأقوال والأحداث والقصص.

ثالثاً: ابتكاراته لبعض مصطلحات جديدة كما في بعض العلوم:

وهي ابتكارات صنّفها في بعض كتبه، ولم يُسْبَق إليها، وتكاد تكون مفصلة تفصيلاً دقيقاً حسب مضامينها.

كما فعل في تصنيف الكلام الأدبي إلى:

١ ـ **الشعر**: وهو الشعر العمودي المعروف.

٢ ـ **النظير**: وهو الشعر المقبول فكراً، ولا يلتزم فيه الوزن المتماثل والقوافي المتناظرة.

٣ ـ **النثر**: وهو الكلام الأدبي المرسل المطلق من القيود.

٤ ـ **النثير**: هو ما يكون فيه التزام ما، كالمقامات والأسجاع، وقد ذكر ذلك في كتابه (مبادئ في الأدب والدعوة).

* * *

أثر إنتاجه الفكري والعلمي
في الساحة الثقافية والنشاط الدعوي والتوجيه

أما فيما يخص مُؤَلَّفاته وكتاباته وإسهاماته وأنشطته في مجالات الدعوة والتوجيه والتربية والتثقيف العام، فقد عِشتُها بمعظمها مسيرة ثلث قرن، وخلال تدرج مراحلها، فكرة، فَمشْروعاً، فكتابة، فمراجعة، وتنقيحاً، فمخاضاً فولادة مولود كتاب جديد نستقبله بسجود شكر، أسوة بالرسول ﷺ، فعن أبي بكرة رضي الله عنه أنه قال عن الرسول ﷺ: «كان إذا جاءه أمرٌ يُسَرُّ به خرَّ ساجداً شكراً لله تعالى»[1].

وذلك لأن بيت (الشيخ عبد الرحمن) كان ولا يزال بحمد الله دارة علم وتأليف ودعوة وتوجيه، كلُّ مَنْ فيها يتعلّم أو يُعَلم، ويندر أن ترى أحد أفراده بدءاً من الوالدين إلى الأولاد إلا وبيده كتاب يقرؤه، أو موضوع يكتبه، أو فكرة أو معلُومة يبحث عنها بين أرفف المكاتب التي انتشرت على جدران المنزل، فلم تَخْلُ منها غرفةٌ أو ردهة أو ممرٌّ لكثرتها، وزيادة حمولتها عن بيته المتواضع!!، أو تراه يناقش (الشيخ عبد الرحمن) حفظه الله فيما يكتبه، أو أن الشيخ نفسه كان يحب أن يقرأ لنا كتاباته، وكثيراً ما نتناقشُ معاً في جلساتنا العائلية المسائية في مواضيع علميّة عامّةٍ، أو في موضوع يُهِمّ أحدَ أفرادِ الأسرة، أو استعراض فتوى من الفتاوى التي

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه في سننهما نقلاً عن صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٢/٨٥٨ ح٤٧٠١، وقد حسنه الألباني.

يستشار بها (الشيخ) باستمرار، لنَزْدَادَ بذلك علماً ومعرفة، أو مُناقشةَ مشكلة من المشاكل المعروضة في هذه الدار.

هذا وإذا أردت الكتابة عن محاضرات (الشيخ) العامة، وندواته وإسهاماته الإعلامية في الصحف فيصعُب علي حصرها، لأن من عادة (الشيخ) التي عودنا عليها أيضاً ألا نَرُدَّ طلباً فيه نفعٌ وفائدة وتوعية للمسلمين، ودعاؤه الدائم لنفسه ولنا هو: «أن يستعملنا الله في مراضيه وخدمة الإسلام والمسلمين، ويشغلنا بطاعته ويجعل سعينا للآخرة». فهذا ما يصبو إليه وما ربّانا عليه، إلا إذا أعاقتنا ظروف فوقَ إرادتنا، لأننا جميعاً حسب توجيهاته وسيرته ونشاطه مسؤولون عن العمل لنصرة الإسلام والمسلمين، والدعوة إلى الله على بصيرة ما استطعنا، وما علينا إلا اتخاذ الأسباب بنيّة صادقة خالصة لله، لأن هذا ما سنحاسب عليه، أما النتائج فبيد الله.

أما مساهماته في البرامج الإذاعية في المملكة العربية السعودية، فكانت بالإضافة إلى وفرتها متنوعة ومشوقة، وأهمها:

١ ـ برنامج يومي رائد بدأه منذ ما يقرب من ثلث قرن، واستمر قرابة أربع سنوات، كشف فيه القناع ولأول مرة عن دسائس (الغزو الفكري) وجنوده، باسم (**أعداء الإسلام**).

٢ ـ برنامج يومي حواري استمر قرابة خمس سنوات بعنوان (**الإسلام هو الطريق**)، مَثَّل فيه طائفة من كبار العلماء يتبادلون الرأي حول موضوع من الموضوعات الإسلامية في أسس العقيدة الإسلامية، والأخلاق الإسلامية، وأحكام الفقه الإسلامي، والمفاهيم والمبادئ الإسلامية.

٣ ـ برنامج يومي بعنوان (آمنت بالله)، استمر دورتين إذاعيتين، تخلّلته قصائد شعرية إيمانية نظمها لهذا الغرض.

٤ ـ برنامج أسبوعي حول تدبر كتاب الله عزَّ وجلّ وفق ترتيب نزول السور استمر أكثر من خمسة عشر عاماً.

بالإضافة إلى أحاديث أذيعت له في محطات عربية أخرى.

ـ هذا ولقد تأثر الكثير من الطلاب ممن درسوا على يديه منذ ما يزيد على نصف قرن بأفكاره وتوجيهاته، ولا سيما في مجال تأسيس العقيدة، والتوعية ضد الغزو الفكري، وتبصير المسلمين بواقعهم، وبواجباتهم تجاه المشكلات المحيطة بهم، مع إخلاص العمل لوجه الله عزَّ وجلّ. وتأثروا أيضاً بمذهبه التربوي الدعوي الذي يعتمِدُ في أولى الأَوْلَويّات على الإقناع الفكري بمختلف الوسائل الإقناعية المؤثرة، وعلى الموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، في الدعوة إلى دين الله، وفي نصح المسلمين المنحرفين عن صراط الله المستقيم.

ثم إن طائفة من زملائه من أساتذة الجامعة كانوا ينادونه بـ(شَيْخنا)، ويجلّونَه لِعلمِه وسعة أفقه، ويلقّبونه بألقاب علمية، وتربوية وتوجيهية قَلَّ من أُطلقت عليه، حتى إن بعضهم دعاه بـ(غَزَالي عَصْرِه)، وآخر بأنه (أبو الغزو الفكري والثقافة الإسلامية). وبعضهم وصفه بقوله (جَمَع فأوعى)، وكتب فوعّى!!. وقال له أحد زملائه من الأساتذة الفضلاء (رحمه الله) بعد أن قرأ في كتبه: «لقد أعدتَ صياغَتَنا من جديد يا شيخنا».

وقال بعضهم عنه أيضاً: «من يقرأ كتبه يتعلم كيف يفكر، ويُصاغ صياغة على أسس دينية حكيمة وعقليّة منطقية سليمة».

ووصفه آخرون بأنه كنز من كنوز هذا العصر. وقيل عنه أيضاً: «إنه يغرف من معين المعقول، ويغوص بحثاً عن درر المنقول»!!.

هذا وتعتبر دار الشيخ عبد الرحمن مقصد زوار كثيرين من أنحاء

العالم الإسلامي والعربي ممَّن قرأوا كتبه، أو سمِعوا أحاديثه في الإذاعة، ليتعرفوا على شخصه ويَرِدُوا معين ثقافته، ويتزودوا بغزير علمه وتوجيهاته الثمينة الرّصينة النافعة، وكم يحمل إليه البريد من رسائل من مثقّفي المسلمين من شتى دول العالم، تفيض بالإعجاب بكتبه وتوجيهاته، طالبين الاستزادة منها.

وممن زاره مرة، أحد شيوخ المغرب في مراكش في موسم الحج، وهو إمام وخطيب في بلده، وممن قرأ كتبه وانتفع بها، وقد قال له: «إنني أقف على المنبر بشخصي وأنت الذي تتكلم»! يقصد أنه ينقل من كتبه نقلاً تاماً!.

ـ وإني أقْتَطِفُ فِقرَةً من رسالة أحد المعجبين بكتابات (الشيخ) حفظه الله دون أن يعرف أحدهما الآخر. وهو شابٌّ من شباب هذه الأمة الإسلامية المتعطشة للعلم الديني الصحيح والتوجيه الواعي المخلص...

فبعد التحية وتقديم أسمى آيات الإعجاب والشكر على ما قدمه ويقدمه (الشيخ) للإسلام والمسلمين، يقول له:

«فكم من أيامٍ قضيتها منصتاً لكم، متمعّناً في كلامكم، متعلماً منكم.. على صفحات الكتب، أتعلم كيف يكون «التدبُّر الأمثلُ لكتابِ الله تعالى». وتتعلق نفسي «بروائع من هدي رسول الله».. مهتدياً إلى كيفية البحث عن الحق، وكيف يكون «المنطق والمناظرة في سبيل الوصول إلى الحقيقة» «متبصراً بأعدائي، وأعداء ديني وأمّتي، كاشفاً كيف تكون سُبُلُهم ودسائسهم».. وما من كتاب أقرؤه وما من قاعدة أتعلمها محاولاً حفظها وتمثّلها إلا ويزداد شعوري ويقيني برحمة الله تعالى وفضلِه بأن لنبيّه ورثَةً، وبأن جعل لدينه حفظة.. ويزداد مع ذلك تعلُّقي بشخصكم الكريم، وأزداد شعوراً بالامتنان لكم، وعرفاناً بجزيل فضلكم على ماقدمتموهُ لكل

مسلم، ولكل باحث عن الحق والصواب».

هذا غيض من فيض من الرسائل التي تأتي (للشيخ) ممن أعجبوا بكتبه واستقوا من معين ثقافته.

أما كتبه التي خاضَ فيها مواضيع شتى فقد أثرى بها العلوم الإسلامية، وملأ ببعضِها ثغراتٍ في (المكتبة الإسلامية المعاصرة) لمواجهة تحدّيات العصر، فإنّي أستَعرِضُها بإيجاز وصِدْقٍ إنْ شاء الله قدْرَ استطاعتي، وأترك لمن يقرؤها بموضوعية وتفهم الحكْمَ عَلَيْها وعَلَى كاتبها. متّبعة في استعراضها التقسيمات الواردات تحت عنوان آثار المؤلف في آخر أحَدِ كتبه (الحضارة الإسلامية)، وأغْفِلُ الحديثَ عنْ بعضِ كتبه الصغرى اكتفاء بأمّهاتِ مؤلّفاتِه وما يتعلقُ بها. والله من وراء القصد.

ويأتي هذا الاستعراض في الفصل الثاني.

ويحلو لي أن أتوج هذه الأقوال والصفات التي أطلقت على (الشيخ) رعاه الله؛ بقصيدة لابن مكة البار، وأحد وجوهها الثقافية والعلمية والحضارية: سعادة الأستاذ (إبراهيم أمين فوده) تغمده الله بواسع رحمته، إذ نظمها في (الشيخ عبد الرحمن) مُعبراً عن إعجابه به وبعلمه.

والأستاذ (إبراهيم فوده) غنيٌّ عن التعريف، فهو أوَّلُ مدير عام للإذاعة السعودية، وأول رئيس لمجلس إدارة نادي (الوحدة) الرياضي، عضو مؤسّس، وأوّلُ رئيس لنادي مكة الثقافي الأدبي لثلاث دورات.

وإذْ أرفق مع هذا الكتيب صورة لهذه القصيدة بخط صاحبها رحمه الله، أسأل الله أن ينفعنا بعلمه، ويهدينا بهديه، ويستعمِلَنا في رفع راية الإسلام عزيزاً منيعاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

إبراهيم أمين فوده

التاريخ ٦/٧/١٤٠٩هـ
١٩٨٩/٢/١٢

علامة الشام

صاحب الفضيلة أخي العزيز الشيخ عبد الرحمن حبنكة / الميداني

علامة الشام كم في الشام من علم
أبوك واحدهم في ذروة الشمم

إن الصفات التي أضفيت بردها
علي نقصه صفات جئن من أمم

أنت المجلي إذا ما البحث محتدم
بين الرجال على نهج وفي فهم

وأنت من يدرك المخبوء من درر
بين النفائس من فعل ومن كلم

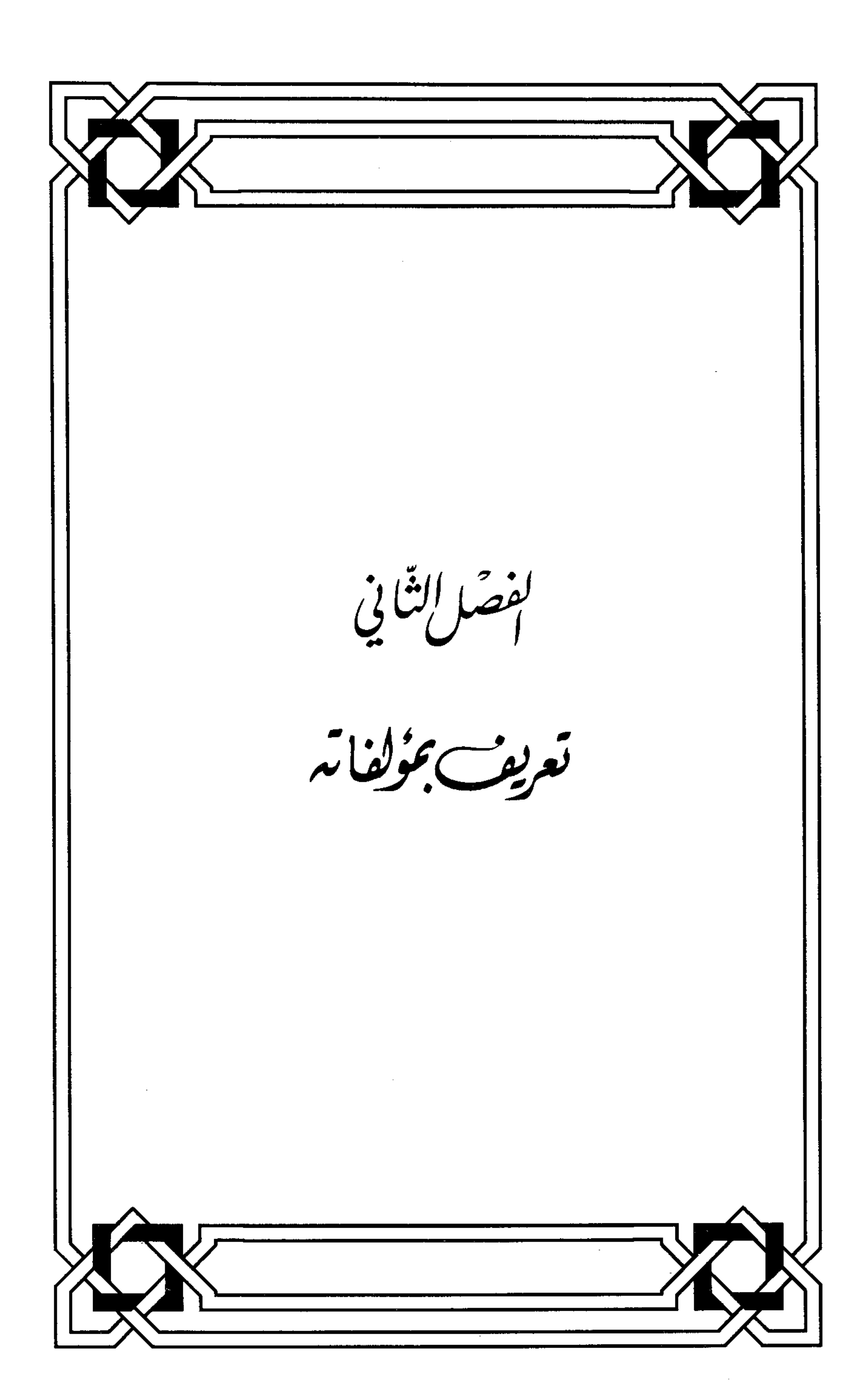
وبالرجال خبير قد يقل له
فينا النظير من الأمصار والأمم

إن أنت أحسنت بي ظناً فمن خلق
أراه شيمة أهل العلم والكرم

فلا عدمت مودات سعدت بها
فأنت أعظم ما قدمت من نعم

وعشت للفضل تهديه وتنشره
بين المحبين في بذل وفي حكم





الفصل الثاني

تعريف بمؤلفاته



آثــار المؤلف المطبوعة

أولاً - في طريق الإسلام

١ ـ العقيدة الإسلامية وأسسها، (٨٠٠) صفحة.

٢ ـ الأخلاق الإسلامية وأسسها، مجلدان، (١٥٠٠) صفحة.

٣ ـ براهين وأدلة إيمانية (مع ديوان آمنت بالله)، (٥٠٠) صفحة.

٤ ـ الصيام ورمضان في السنّة والقرآن (دراسة في طريق بحوث فقه الكتاب والسنة)، (٤٨٠) صفحة.

٥ ـ الحضارة الإسلامية: أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، (٦٨٠) صفحة.

٦ ـ روائع من أقوال الرسول ﷺ (دراسة لغوية وفكرية وأدبية)، (٥٧٥) صفحة.

٧ ـ الأمة الربّانية الواحدة، رسالة (١٢٢) صفحة.

٨ ـ ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة، (٤٢٥) صفحة.

٩ ـ تيسير فقه الزكاة (تبيين وتقنيين وترجيح)، رسالة (٤٢) صفحة.

١٠ ـ فقه الدعوة إلى الله، وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مجلدان (١٢٥٠) صفحة.

١١ ـ الوجيزة في العقيدة الإسلامية (ملخص من كتاب العقيدة)، رسالة، (٢١٨) صفحة.

١٢ ـ الوجيزة في الأخلاق الإسلامية (ملخص من كتاب الأخلاق)،

كُتيّب صغير الحجم (٥٠٠) صفحة.

١٣ ـ توحيد (الربوبية) وتوحيد (الإلـٰهية)، رسالة من (١٢٨) صفحة

* * *

ثانياً ـ دراسات قرآنية

١ ـ قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلّ، (٨٠٠) صفحة.

٢ ـ تدبر سورة (الفرقان) في وحدة موضوع، (٤٥٠) صفحة.

٣ ـ تفسير سورة (الرعد) في وحدة موضوع، (٢٩٠) صفحة.

٤ ـ أمثال القرآن ـ وصور من أدبه الرفيع، (٥٦٧) صفحة.

٥ ـ (نوح) عليه السلام وقومه في القرآن المجيد (دراسة في طريق التفسير الموضوعي)، (٣٧٢) صفحة.

٦ ـ (معارج التفكر ودقائق التدبر) تفسير تدبري للقرآن الكريم وفق ترتيب النزول، وَوَفق منهج كتاب (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلّ)، صدر منه حتى الآن ستة مجلدات، وفي طريق الظهور اثنان آخران (بإذن الله)، ثمانية مجلدات حتى الآن، تزيد صفحات كل واحد على (٧٠٠) صفحة.

* * *

ثالثاً ـ في سلسلة أعداء الإسلام

١ ـ مكايد يهودية عبر التاريخ، (٤٤٠) صفحة.

٢ ـ صراع مع الملاحدة حتى العظم، (٥٠٠) صفحة.

٣ ـ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير الاستشراق الاستعمار) (٧٠٠) صفحة.

٤ ـ الكيد الأحمر (دراسة واعية للشيوعية)، (٤٠٠) صفحة.

٥ ـ غزو في الصميم (دراسة واعية للغزو الفكري والنفسي والخلقي والسلوكي في مجالات التعليم المنهجي والتثقيف العام)، (٣٣٤) صفحة.

٦ ـ كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، (٧٥٠) صفحة.

٧ ـ ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ مع دراسة شاملة للنصوص القرآنية في النفاق والمنافقين، مجلدان (١٤٠٠) صفحة.

٨ ـ (أجوبة الأسئلة التشكيكية) الموجهة من قبل إحدى المؤسسات التبشيرية العاملة تحت تنظيم (الآباء البيض)، رسالة (١١٨) صفحة.

٩ ـ (التحريف المعاصر في الدين) تسلل في الأنفاق بعد السقوط في الأعماق، (٢٣٧) صفحة.

* * *

رابعاً ـ سلسلة من أدب الدعوة الإسلامية

١ ـ مبادئ في الأدب والدعوة، (١٧٧) صفحة.

٢ ـ ديوان (أقباس في منهاج الدعوة وتوجيه الدعاة)، شعر (٢٥٥) صفحة.

٣ ـ ديوان (ترنيمات إسلامية) شعر للنشيد، (١٢٥) صفحة.

٤ ـ ديوان (آمنت بالله) شعر، (٨٠) صفحة.

٥ ـ البلاغة العربية (أسسها وعلومها وصور من تطبيقاتها) بهيكل جديد من طريف وتليد، مجلدان (١٢٠٠) صفحة.

* * *

خامساً ـ كتب متنوعة

١ ـ ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، (٤٧٠) صفحة

٢ ـ بصائر للمسلم المعاصر، (٤٥٥) صفحة.

ـ وغير ذلك من متفرقات، وكتيّبات.

* * *

أولاً ـ مجموعة الكتب الصادرة في سلسلة في طريق الإسلام

١ ـ كتاب العقيدة الإسلامية وأسسها

هو أول مولود من كتب (الشيخ عبد الرحمن)، وكان في أول أمره مذكرات أعدها لطلاب المدارس الشرعية في دمشق، ثم أتمّها حتى أصبحت كتاباً متكاملاً مشتملاً على كل ما يلزم لشرح أركان الإيمان، وظهرت طبعته الأولى عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م، ومن ثَمَّ أصبح الكتاب بأهم فصُوله مقرَّراً على طلاب المدارس الشرعية في سورية.

وهو سفر من مجلد واحد تبلغ صفحاته نحو (٧٠٠) صفحة. يشتمل على شرح مفصل تفصيلاً منطقياً ضمن نظام شجري يبدأ من الجذور إلى الساق فالفروع، ومزوّد برسوم إيضاحية لأركان العقيدة الإسلامية بلغة معاصرة بعيدة عن التعقيد، وعن المصطلحات الكثيرات، ولغته سهلة ميسّرة مناسبة لمختلف مستويات البشر، وهذا الشرح مقرون بأدلة عقلية وعلمية، وأدلة من القرآن المجيد والسنّة المطهّرة.

والكتاب يشتمل في الباب الأول: على مقدمات تأسيسية حول النفس والعالم المادي، والعالم الغيبيّ كأساس أول لبناء الشخصية الإسلامية المتميّزة، ويبين المؤلف فيه طرق اكتساب المعرفة في تعاليم الإسلام. وبأسلوب علميّ وعقليّ ونصّيّ يوضح ماذا يعني الإسلام والإيمان، ثم يبين كيف أنشأ الإسلام القاعدة الإيمانية، وركز على غرسها في النفوس، وتَعَهُّدِ نمائها وقوتها كأساس لكلّ عَملٍ ظاهريّ وباطنيّ.

وفي الباب الثاني: لهذا السفر الجامع يتناول البحث في الإلـٰهيّات بـدءاً بالإيمان بالله تعالى، مبيّنـاً الصداقة بين الإيمان والبحث العلمـي الصحيح. مدعِّماً ذلك بأقوالٍ لبعض علماء الكون والفلاسفة في الإيمان بالله، مع بيان سقوط فكر الملحدين. ثم يذكر الأدلة العقلية الأربعة على وجود الخالق جلَّ وعلا. ويشمل هذا الفصل أيضاً شرحاً وتصنيفاً لأسماء الله الحسنى وصِفاته. مع إيراد إضافات مأخوذة من القرآن والسنة لم تكن معهودة في كتب التوحيد، مثل فَصْل (لا حكمَ إلا لله).

وفي البـاب الثالث: يشـرح ركن الإيمان بالملائكـة وحقيقتهـم وأصنافهم وأعدادهم، ويضيف فصلاً آخر عن (الجِنّ والاعتقاد بوجودهم باعتبارهم مخلوقات غيبيّة مُكَلّفة كالإنس).

وفي الباب الرابع: يتناول بالتفصيل ركن الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام، مع بيان الفرق بين النبيّ والرسول، ووظائف كلٍّ منهما، والتـأكيد على حاجـة البشـرية إلى الرسـل، ومتى يجب الإيمـان بهم، استدلالاً بأمور منها: المعجزات التي يجريها الله على أيديهم، والصفات التي يتميز بها الرسل. ثم عقد فصلاً عن الكرامـات التي قد يخص بها الله بعض عبـاده، كأهل الكهف، والسيدة مريم ابنة عمران. ثم أورد موجزاً لتاريخ الرُّسُل عليهم السلام المذكورين في القرآن. وفي الفصل الأخير من هذا الباب، تناول بالشرح تعدد الرسالات السماوية ووحدة أصولها، وتكاملها، وختمها برسـالة محمد عليه السلام. وأتبع ذلك ببيان الوحي فعرَّفه وبين أنواعه وكيفيّته.

وخصص الباب الخامس: لـركن الإيمان بالكتب السـماوية التي أنزلها الله على رسله، فعرّف بها وبيّن حاجة الناس إليها، ووجوب الإيمان بهـا، وهـي: القـرآن الكـريـم، وصحـف إبـراهيـم، والتـوراة، والـزبـور،

والإنجيل، مع بيان أن الكتب المقدسة الموجودة عند أهل الكتاب الآن قد حُرِّفَتْ، ولا تُوجد أدلة تصحح نسبها إلى من نسبت إليه من الرسل عليهم السلام.. وبين أيضاً ما هو موقف البحث العلمي من كتب العهدين القديم والحديث، وموقف العقيدة الإسلامية منهما.

وفي الباب السادس: الذي يتحدث فيه عن الإيمان باليوم الآخر، يؤكد قضية (الابتلاء والتكليف والجزاء وحدود المسؤولية) مبيّناً إقرار الجزاء الربّاني، المعجّل والمؤجل، والجزاء الرباني بين الفضْل والعدل، وفي مجال حدود المسؤولية يشرح الفرق بين الكسب الإيجابي، والكسب السلبي، ثم يشرح ضرورة الإيمان باليوم الآخر، مع ذكر أسماء اليوم الآخر أخذاً من القرآن، وَفق ما يجري فيه من أحداث. وذكر مقدمات اليوم الآخر كالساعة، والبرزخ، والنفخة الأولى والثانية، وذكر حقائق تتعلق بالبعث والحشر، والعَرضِ والسؤال، والحساب، والميزان، والصراط، والجنّة والنار، والشفاعة. ثم ختم الباب بشرح عقائد الناس بالبعث للجزاء يوم القيامة، والردّ على المنكرين، مع بيان دوافع التكذيب بيوم الدين.

وخصَّصَ الباب السابع: لذكر أسباب الضلالات الاعتقادية، إذ أرجعها إلى أسباب ثلاثة: انحراف فكري، أو انحراف نفسي عن منهج الخلق القويم، أو ضعف في الإرادة، وختم الباب بذكر بعض النماذج من الفرق الضالة في عقائدها، وعوامل تكوينها كالباطنية والبهائية والقاديانية.

وفي الباب الثامن: تناول بالشرح المُكَفِّرات بأنواعها، الاعتقادية، والقولية، والعملية، وأصناف الكفار، ودَرَكات الكفر، وبيان أن مصير الكفار الخلود في النار.

ويشتمل الباب الأخير: من الكتاب على تحليل علمي عقلي ونصّي مبتكر لموضوع القضاء والقدر، وإثبات أن الناس قد منحهم الله إرادات

حـرَّةً ليمتحنهم في ظروف الحيـاة الدنيا، مع أنـه هو الذي يخلـق لهم ما يختارونه من أعمال.

وقد شرح ذلك بأسلوب منطقي سليم، ومطابق للنصوص القرآنية، مبيّنـاً الحكمة فيما تجري بـه المقادير الربانية، ومسـؤولية الإنسان عن أعماله الإرادية، وكيف يكون المؤمن سببيّاً في أعماله المادية، متوكّلاً على الله في حركاته النفسيّة والقلبية راضياً كلَّ الرضى عن قضاء الله وقدره، سعيداً بما تجريه المقادير، في الأمور التي لا كسب له فيها، لإيمانه بأنه في الدنيا في دار ابتلاء وامتحان.

وقد التـزم (الشيخ) في كتـابه عند شـرح العقائد بمنهج أهل السـنّة والجماعـة، دون أن يفصّل القـول في الـردود على المذاهب الأخـرى المخالفة مكتفياً ببيان الحق، ولـم يهتم فيه المؤلف بعرض أقوال المذاهب العقدية التي لم يبقَ لها أنصار في العالم الإسلامي، إذْ لم يرغب بإحياء ما مات منها لإبطاله وإماتته من جديد، فهو يرى أن هذا علم لا جدوى منه، إذ قد طوته القرون، وعفت آثارُه فما الفائدة من إخراجه من مدافنه وإعادتِهِ للمناقشة والمجادلة حوله وبيان وجهات النظر المختلفة، والمناصرة أو التجريح!!، ونحن بأمس الحاجة في هذا العصر إلى بنـاء القاعدة الإيمانيّة في نفـوس النَّشءِ المسلم الذي تتقاذفـه وافدات الغزو الفكري، وتشـتت أفكـاره المذاهب الفكرية الهدّامة. لذا فمن الأفضل إبعادُه قدْرَ المستطاع عن الاختلافات والمهاترات التي لا جدوى منها، لحفظ نفوسهم وعقولهم قويّة متماسكة.

ـ هذا ومما يزيد في قيمة هذا الكتاب أن مؤلفه قد استفاد من الأدلة العلمية المعاصرة لدعم قضايا الإيمان بالله وبصفاته، وأسمائه الحسنى، ولدعم قضايـا المغيّبات التي كان جهلـة القرون الأولى ينكرونها، لأن عقولهم كانت تستبعدها، متشبّثة بما تُحِسُّ بحواسّها، معطّلة أدلة العقل وبراهينه.

وإذ أوفى هذا الكتاب، بفضل الله، بلغة العصر حاجات المسلم المعاصر لمعرفة ما يحتاج إلى معرفته بالنسبة إلى أركان الإيمان التي يجب عليه أن يؤمن بها، وقيّض الله له منصفين دَرَسُوه بإمعان وتتبع، ثم قاموا بتدريسه، وكتب الله له القبول في الأرض. فصار كتاباً مقرّراً، ومرجعاً من المراجع المعتمدة في عدة جامعات تدرس العلوم الإسلامية، وفي مقدمتها (العقيدة الإسلامية)، وهو علم كان يُعْرَفُ عند علماء المسلمين بـ(علم التوحيد)، إذ كانت قضايا توحيد الله أهم قضاياه. وغدت هذه المادة تدرس تحت اسم (العقيدة الإسلامية) في معظم الكلّيات والمعاهد العلمية التي تهتم بالدراسات الإسلامية، وبترسيخ العقيدة في النفوس على الأسس الفكرية السليمة، والبحوث العلمية القويمة، والإحساسات الفطرية الصادقة، والأخبار اليقينية الثابتة.

* * *

٢ ـ كتاب الأخلاق الإسلامية وأسسها

موسوعة أخلاقية تقع في مجلّديْن، تبلغ صفحاتها (١٥٠٠) صفحة، طُبع لأول مرة عام ١٣٩٨هـ الموافق ١٩٧٨م، وهو كتاب مبتكَر في طريقته، مستمِد من مفهومات القرآن والسنة مباشرةً. لم يتأثر مؤلفه فيه بالفكر اليوناني في الأخلاق، ولا بالفكر الغربي المعاصر، بل أبْعدَ عن تصوره كل دراسة للأخلاق، سبق أن قرأها لمن كتب في هذا العلم، حينما قام بتدوين ما توصّل إليه في هذا السفر.

قال في المقدمة العامّة لكتابه هذا:

«فهذا سفرٌ في الأخلاق، جمعت فيه دراسات جديدة، اقتبستها بالتأمّل المتجرّد من القرآن والسنّة، وأنا مدفوع بدافع الأمل في أن أصل إلى معرفة الأسس العامة لمفردات الأخلاق، في مفاهيم الإسلام وتعاليمه الربانية، بالإضافة إلى جمع أهم المفردات وبيان قيمها وفوائدها وثمراتها.

وحين قمت بهذه الدراسة حاولت أن أُبعد عن تصوري كل دراسة للأخلاق قرأْتُها من قبل، للفلاسفة الإسلاميين، ولغيرهم ممن سبقهم أو جاء بعدهم، رجاء أن لا أقع فريسة لوجهات نظر معيّنة، فَأَعْمَل من حيث لا أشعر على تطويع النصوص الإسلامية الأصلية لتحمل وجهات النظر هذه، ولتدُلَّ عليها، ورجاء أن يكون بصري في فهم حقيقة معاني النصوص الإسلامية أقرب إلى السلامة، وأكثر نفاذاً وإدراكاً، وأبعد عن المشوشات التي تفسد الرؤية، أو تُغشّي على جوانبها.

هذا مع أني قد أفدت من دراساتي الطويلة لما كتب الكثيرون في الأخلاق من إسلاميين وغيرهم ـ متقدّمين ومتأخّرين ـ فكان ذلك لدي أساساً لبدء عملية التدبر المباشر، من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ولم أعمد إلى استعراض مذاهب الناس وآرائهم في الأخلاق، وإنما عمدت إلى ما تحصّل لديّ من المفاهيم المقتبسة من الإسلام فأثْبَتُّه. ولعل القارئ المنصف يجد في هذه الدراسة عملاً فذّاً لم أنقله عن واحد أو جمع، ممّن سبق من العلماء الباحثين، ولعلّه يجد فيها القواعد المهمة لبناء علم الأخلاق الإسلامي، الذي لم يتأثر بفكر يوناني، ولا بفكر غربي حديث، ولا بمذهب من مذاهب الناس، وإنّما اهتدى بهدي مفاهيم القرآن الكريم، وسنة الرسول العظيم ﷺ، والْتَزَمَ بضوابط الفكر السليم».

وقد شهد بهذا الذي ذكره في مقدمته معظم الذين اطَّلعوا على الكتاب أو درسُوه، حتى قررتْهُ لدراسة مادة (الأخلاق الإسلامية) عدة كليات في جامعات من الوطن العربي، تُعنى بالدراسات الإسلاميّة.

وهو كتاب اشتمل على خمسة أبواب كبرى، وفيها فصول كثيرة.

الباب الأول

يتناول مقدمات وأُسُساً عامة، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: اشتمل على تعريفات تأسيسية ضرورية، عَرَّف فيها الأخلاق وبين أنواع السلوك الإرادي للإنسان وكيفيّة دلالة السلوك الأخلاقي على الخلق الثابت في النفس، ثم بين الحكمة وعلاقتها بمكارم الأخلاق والذكاء.

الفصل الثاني: اشتمل على أسس عامة تبين جذور الأخلاق

ومداركها، وتقسيم ما جاءت به الشريعة من وصايا وأحكام إلى كليّات عامة، وارتباط معظم أحكام الشريعة الإسلامية بالأخلاق، وتميزها عن سائر أنواع السلوك الإنساني، وضرورة العناية بمكارم الأخلاق التي تعتبر ضرورة للمجتمعات الإنسانية، وموقف أعداء الإسلام من الأخلاق الإسلامية. وعناية الإسلام بتزكية النفس وتهذيبها، وتمجيد الإسلام الخلق الحسن، وحثّه عليه. واشتمل على الكليّات العامة التي تنضوي تحتها مفردات مكارم الأخلاق.

- وشمول الأخلاق ودخولها في كل القطاعات الإنسانية والسلوك الفردي والاجتماعي.

- تقسيم الأخلاق باعتبار علاقاتها، وتقسيم السلوك الخلقي إلى بسيط ومركب، وبيّن أنه قد لا تكون الظاهرة الخلقية نابعة من أساس خلقي.

الفصل الثالث: اشتمل على بيان الحكم الأخلاقي وأسسه، ودرجاته وأنواعه، ومصدره وأنواع أصحاب الحقوق، والحِسِّ الأخلاقي، أو الضمير الأخلاقي، وتربيته، وقواعد لهداية البصيرة الأخلاقية، مأخوذة من قواعد مستقاة من بعض الأحاديث الشريفة. ثم بيان الغاية من التزام قواعد الأخلاق، مع لمحة عن نظرات الفلاسفة والباحثين في علم الأخلاق، وتفنيد مزاعم المادّيين الذين يقولون بِنِسْبِيَّةِ الأخلاق.

الفصل الرابع: شرح فيه المؤلف مستويات توجه النفس إلى العمل الإرادي، استخراجاً من النصوص بصورة مبتكرة، ومواقع المسؤولية عن السلوك الأخلاقي، وشروط ترتّبها، وبين الحرية وحدودها، والخطيئة والغفران، والشيطان ومدى تأثيره في حياة الإنسان، وأثر العلاج الديني لصدّ الشيطان.

الفصل الخامس: شرح فيه المؤلف اكتساب الأخلاق ووسائله، وبين فيه الأخلاق الفطرية، والمكتسبة، وكيمياء الطِّباع، وقابلية الناس لاكتساب الأخلاق والأسس التربوية العامة لتقويم أخلاق الناس.

الباب الثاني

وفيه تسعة فصول

تتحدث عن الإنسان في دائرة الدلالات القرآنية، وقدم فيها المؤلف دراسة عن النفس الإنسانية مقتبسة من نصوص القرآن والسنة، وهذه الدراسة لم يَسْبِقْ أن تناولها بالدراسة المتأنّية المتعمقة أحد من قبله!، وهي دراسة تصلح تمهيداً لدراسة علم نفس إسلامي واسع، بكتاب متخصص، وهي أيضاً يمكن أن يستنير بها باحثون مؤهَّلُون متمكّنون قادرون على الاستنباط المتجرد من القرآن والسنة؛ المصْدَرَيْن الأساسيَّيْن المشتملَيْنِ على التعليمات والمفهومات الإسلامية الصحيحة. ورأى أن النفس الإنسانية ذات دوائر بعضها أقرب إلى العُمْقِ من بعض، فالدائرة الكبرى هي سطح النفس، وداخلها دائرة الصَّدْر، وداخل دائرة الصدر دائرة القلب، وداخل دائرة القلب الفؤاد وهو عمق النفس الأقْصى، ثم تحدث عن الفكر واللّب والعقل، والإنسان بوجه عام.

الباب الثالث

وفيه فصلان

الفصل الأول: اشتمل على خُلُق الرسول ﷺ في القرآن وصفاً وتربيةً.

الفصل الثاني: اشتمل على طائفة ممَّا جاء في السنّة من بيان خلق الرسول ﷺ.

الباب الرابع

وفيه عشرة فصول

وقد تناول المؤلف في هذا الباب جوامع مفردات الأخلاق. وكليّاتها الكبرى، مع شرح المفردات شرحاً فكرياً ونصّيّاً، وبطريقته في اتِّباع الأسلوب العلمِي في التصنيف والأسلوب الشجري الإيضاحي في ردّ الفروع إلى أصولها، فقد اهتدى فيه إلى إرجاع مفردات الأخلاق إلى تسعة جذور بدراسة وتصنيف لم يُسبق إليهما!!.

ويتفرع عَنْ كلِّ جذْرٍ من هذه الجذور فروع تحوي مفردات أخلاقية كثيرة:

الجذر الأول: حب الحق وإيثاره وظواهره السلوكية، وأضدادها.

الجذر الثاني: الرحمة وفروعها وظواهرها السلوكية وأضدادها.

الجذر الثالث: قوة الإرادة.

الجذر الرابع: الدافع الجماعي.

الجذر الخامس: المحبة للآخرين.

الجذر السادس: الصبر وفروعه، وظواهره السلوكية.

الجذر السابع: حب العطاء! وفروعه وظواهره السلوكية.

الجذر الثامن: سماحة النفس.

الجذر التاسع: علو الهمة.

ورأى أن بعض الفروع الأخلاقية ترجع إلى أكثر من جذر من الجذور التسع، فعقد لها فصلاً خاصاً هو الفصْل العاشر، تحدَّثَ فيه عن العفّة وضدها، والشجاعة والجبن وكونها فطرية ومكتسبة، وضرب أمثلة في

الشجاعة الإيمانية والترغيب في الجهاد. ثم شرح الجبْنَ باعتباره نقيضاً للشجاعة.

الباب الخامس

تَـوَّجَ فيه المؤلف كتـابه بنُصوص من القرآن والسـنّة تشـتمل على جوانب أخلاقيـة، وشرحها شـرحاً مناسباً. أضفى على الكتـاب صفـة الشمولية والعمق مع المنطقية في التصنيف والترتيب، وردَّ كلٍّ إلى أصوله.

الأمر الذي جعل هذا السفر الأخلاقي الموسوعي، من أُمَّهاتِ الكتب الإسـلامية، التي يستحسـن أن تكونَ رَصِيداً يُضافُ إلى ما تجب إضافته ودراسته والعمل به، من التصانيف الإسلامية المعاصِرة. كما يستحسن أن يكون مرجعاً أساسياً للدعاة والوعّاظ والخطباء والمربّين ليستفيدوا مما حوى من كنوز أخلاقية مبوّبةً منسقة، ومستقاةٍ من مبادئ الإسلام ومنبعيْه الصافييْن، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

* * *

ومن شـواهد إعجاب كبار أهل العلم من أسـاتذه الجامعات بهذا الكتاب ما كتبه (د. ياسين بن ناصر الخطيب) الأستاذ في جامعة أم القرى (قسم القضاء) ببَرنامجه الذي كان يُذيعه في إذاعات المملكة العربية السعودية بعنوان (كتاب عن السنة المطهرة)، فقد أورد في الحَلْقَة/ ٣٧٣/ من هذا البرنامج تعريفاً بكتاب (الأخلاق الإسلامية وأسسها)، ومما جاءَ في هذا التعريف قوله:

«إن هذا الكتاب موسوعة أخلاقية متكاملة، ولذلـك فإن الإنسـان يحتار من أين ينقل للمستمعين في هذه الدقائق القليلة، من هذه الجنّـة الظليلـة. والمتأمل المتدبّر في كتاب الشيخ حبنّكة هذا يعجب كيف أن

الشيخ يلتقط من الكلمة التي نمرُّ عليها نحن القارئين، ولا نعيرها كبير اهتمام! نجد الشيخ يقف عندها طويلاً، يتأمل معانيها، ويلاحظ مراقيها. قرأ الشيخ قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، فوقف عند الدَّأب والصبر على متابعة العمل المستمر، ومن التوجيهات النبوية للأخذ بخلق الثبات والدأب والمثابرة على العمل النافع ما يلي:

روى البخاري ومسلم عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلىٰ الله أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ». فهذا الحديث يدعو إلى فضل الثبات والدأب والمثابرة على العمل وعدم إجهاد النفس بطفرات الأعمال التي تستنفذ الطاقات...».

ـ وجاء في هذه الحَلْقة أيضاً ما يلي:

«واستطاع الشيخ عبد الرحمن حبنكة بحنكته أن يأخذ من كلمة دائبين كل هذه المعاني الجميلة».

ـ «والشيخ عندما تكلم عن محبة الآخرين توقَّف عند قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنّة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم» رواه مسلم، قال: فجعل الرسول ﷺ في هذا الحديث التحابب من عناصر الإيمان أو ثمرةً من ثمراته التي لا بد أن تظهر متى كان الإيمان صحيحاً.

فقال: «ولا تؤمنوا حتى تحابّوا» أي فإذا لم يوجد بين المسلمين تبادل المحبة والمودة لم يكن الإيمان في قلوبهم مستكملاً عناصره، وبذلك لا يكونون مؤمنين حقاً...».

واستمر في حلقته هذه يلتقط معاني ثَرَّة أخذاً من هذا الكتاب

ليقدمها نموذجاً مما اشتمل عليه هذا السفر العظيم .

سدد الله خطانا جميعاً للاعتراف بالحق والسيرِ وَفق هدي كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وخدمة الإسلام والمسلمين .

* * *

٣ـ كتاب براهين وأدلة إيمانية

سفر من مجلد واحد تبلغ صفحاته (٥٠٦) صفحة كان إصداره الأول عام ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م. وهو يعتبر أحد مؤلفات (الشيخ) في سلسلة بناء عقيدة إسلامية صحيحة، إذ إنه يزيد أدلة وبراهين على ما جاء في كتاب (العقيدة الإسلامية وأسسها)، وكتاب (ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة)، فهو يكمل هذه المنظومة المتناسقة بثلاثية فكرية عقدية، تحيط بالمؤمن لتثبّت الإيمان بجذر قلبه، وتحاصر الكافر والملحد والمتشكّك لتردّ كافة أسهمه المسمومة إلى نحره، كما أن هذا السفر يتساوق مع كتاب (صراع مع الملاحدة حتى العظم) أحد كتب سلسلة أعداء الإسلام، إذ يلتقي معه في الردّ على الإلحاد والملحدين ردّاً يجعل صواريخهم عصياً، وقنابلَهُم مجرّد ألعاب نارية، تبهر الناظر إليها بخلَّب بريقها وألوانها وكِبَرِ حَجْمِهَا في الفضاء، ثم لا تلبث أن تتلاشى كذرَّة هباء!.

وقد اشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أبواب:

الباب الأول

اشتمل على فصلين

الفصل الأول: طريقة القرآن في إثبات العقيدة بالله عزّ وجلّ.

الفصل الثاني: الرد على الملحدين، الّذين ينكرون وجُودَ الرّبِّ الخالق، وقد اشتمل على مناظرتهم بالبراهين الدامغة، وبيان أوهامهم، وموقفهم العنادي، وحماقتهم مع شواهد من اعترافات كبار علماء الكون.

الباب الثاني

وفيه خمسة عشر فصلاً، اشتملت على أدلة كلّيّة، تثبت وجود الله عزَّ وجلّ وصفاته الجليلة، مقرونة بالأمثلة من الظواهر الكونية مع بيان شهادات العلماء فيها.

الباب الثالث

وفيه سبعة فصول، اشتملت على شرح آيات تفصيلية من آيات الله في الكون توصَّلَ إلى معرفتها علماء الكونيات بوسائلهم الإنسانية وأبحاثهم العلمية الصحيحة.

ثم زيَّن المؤلف خواتيم الكتاب بديوانه (آمنت بالله)، وهو ديوان شعري يعتمد على ذكر آية قرآنية تدل على آية كونية من آيات الله في خلقه، سواء في الكون أم في الحيوان أم النبات أم الإنسان نفسه ظاهره وباطنه. ويأتي الشعر تحت عنوانها شارحاً هذه الآية القرآنية بطريقة علمية وأدبية رفيعة المستوى، تطمئن قلب المؤمن، وتدهشه بعجائب آيات ربه، وتقنع العالم بتطابق آيات الله في الكون، مع آياته المكتوبة، ومع اكتشافات العلم الصحيحة، وتدغدغ خواطر الأدب، وحب الجمال والكمال والفن السامي في شغاف قلوب عُشّاق الكلمة الجميلة الطيّبة، والمشاعر الحسَّاسة المرهفة.

* * *

٤ ـ كتاب الصّيام ورمضان في السنة والقرآن

سفر من مجلّد واحد تبلغ صفحاته نحو (٥٨٠) صفحة، طبع لأول مرة عام ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، جمع فيه المؤلف بين المفاهيم من القرآن والمفاهيم من السنة، حول موضوع واحد، قدم فيه نموذجاً لِما يُمكن أن يُسمّى فقه الكتاب والسنة، حول تدبر آيات الصيام، وما يتعلّق به في القرآن المجيد، وتفهم الأحاديث النبويّة الواردة في السنّة حول الموضوع نفسه، بُغيَةَ الإلمام بأطراف الموضوع وجَمْعِها في نسقٍ متكامل.

واستخرج المؤلف بهذه الدّراسة الأحكام الشرعية الاجتهادية التي رأى أنَّها هي الأرجح استنباطاً من نصوص القرآن والسنّة.

وقال المؤلف في المقدمة العامة لهذا الكتاب:

«وإذْ أُقدم هذا الكتاب للقارئ المسلم الباحث عن أحكام شرائع الإسلام سواءٌ أكان من أنصار عدم الالتزام المذهبي، أم من الملتزمين بالمذهبية، فإني أرجو أن يجد كلٌّ منهما فيه ما يقنعه بإيثار عدم الغلوّ في اتّجاهِه، وعدم التعصَّب لما يراه من اتّجاه، فالحقُّ أحق أن يتّبع أين كان، والتعصب الأعمى ليس من شأن المسلم، إنما شأنه البحث عن الحق، والتّمسُّكُ به انتصاراً له، لا انتصاراً لقائله، إلا أنْ يكون الانتصار لله ورسوله ﷺ، إذ لا يصدر عنهما إلا الحق، والخطأ فيما يُنْسَبُ إليهما هو من فهم الناس لما جاء عنهما، أو من تحريفهم، أو من افترائهم».

فهو كتاب قدمه المؤلف بمثابة نموذج لبحوث (فقه الكتاب والسنّة)،

إذ من رأيه، أن دراسة آيات الأحكام وحدَهَا، ودراسة أحاديث الأحكام وحدها لا تؤدي الغرض المطلوب لاستخراج الأحكام الشرعية الأقربِ إلى الصواب. فَالسُّنّة رديفة القرآن وأحاديث الأحكام مكملة لمجملات ما في القرآن، وليست متعارضة معها. هذا وكانت مسيرة المؤلف في هذا الكتاب الفريد من نوعه كما يلي:

فبعد أن عرّف الصيام ورمضان، قسَّم موضوعه إلى ثمانية أبواب:

الباب الأول: تحدث فيه عن الصيام في القرآن، ضمن ثلاثة فصول: فالفصل الأول يتناول: الصيام عن الكلام في قصة مريم وعيسى عليهما السلام، وفي الفصل الثاني: تدبَّر آيات الصيام الذي فرضَه الله علينا في القرآن، وفي الفصل الثالث: أورد فضائل الصيام في القرآن.

الباب الثاني: تحدث فيه عن فضائل الصيام وشهر رمضان في السنة ضمن فصلين.

الباب الثالث: تناول بالتفصيل أحكام الصيام في السنة ضمن سبعة فصول تضمنت: أهلية التكليف، وما يفطّر الصائم، وما لا يفطّره، أحكام نيّة الصيام، وقطع الصوم في الفرض والنفل، وسنن آداب الصائم، وأحكام القضاء، والصيام المسنون، والصيام الممنوع، وأمور على خلاف السنة.

الباب الرابع: تحدث عن زكاة الفطر، والأحاديث الواردة فيها، وما يستفاد منها، وأقوال الفقهاء.

الباب الخامس: وفيه أتبع رمضان بالحديث عن العيد.

الباب السادس: أورد كلمات بأفكار وعظات حول رمضان منذ إطلالته وحتى ما بَعْدَهُ.

الباب السابع: توّج المؤلف أبحاثه بأمجاد رمضانية، ذكر فيها أهم معركتين في التاريخ الإسلامي، وهما (غزوة بدر) و(فتح مكة).

الباب الثامن: ألحق فيه المؤلف إتماماً للفائدة (فقه الصيام على المذاهب الأربعة). مما أضفى على الكتاب لمحة تكاملية تاريخية زادت من قيمته العلمية.

* * *

٥ ـ كتاب الحضارة الإسلامية
أسسها ووسائلها، وصور من تطبيقات المسلمين لها
ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم

سفر من مجلد واحد تبلغ صفحاته (٦٧٥) صفحة صدر عام ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م. في طبعته الأولى. ثم استكمل (الشيخ) أبوابه، وكانَ إصداره مستكملاً في عام ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

اشتمل هذا الكتاب على مقدّمات عامة فيها فصلان وأربعة أبواب.

فالمقدمات اشتملت على تحليل معنى الحضارة، والسبيل إلى تحقيق التقدم الحضاري، وعلى موقف الإسلام من التقدم الحضاري، وعلى أثر الأسس الفكرية والنفسية في بناء الحضارات، وهو يرى أن سُلَّمَ الرقي الإنساني والحضارة المثلى ذو مراتب ثلاث:

أسماها مرتبةً، ما يأخذ بيد الإنسان فرداً كان أم جماعة إلى السعادة الخالدة . . ، ومن دونها تأتي مرتبة الرقيّ الذي يمنح المجتمع الإنساني سعادة التعاون والإخاء، والأمن والطمأنينة والرخاء، وسيادة النظام والحقّ والعدل، ثم تأتي من دونهما مرتبة الرقيّ المادي الذي يخدم الجسد الفاني ويُمتِعُه.

وبذلك فإن الحضارة الإسلامية معنية بالبدء من القمّة، نظراً إلى شرف الغاية التي توصل إليها المرتبة العليا من مراتب الحضارة، ثم تُوجِّه

عنايتها البالغة إلى المرتبة الوسطى، ثم تنتقل بالناس إلى المرتبة الدنيا، وتأخذ بأيديهم وتدفَعُهُم إلى الارتقاء في درجاتها، بكل ما يستطيعون من قوة وابتكار وتحسين وعمل وإتقان. وهي الحضارة الوحيدة التي أوقفت الإنسانية راسخة على قدميها ولم تنكّسْها كبقية الحضارات، وهي أيضاً الحضارة الوحيدة التي تشتمل أسسها النفسية والفكرية على حاجات الحياة كلّها من جوانبها الفكرية، والروحية، والنفسية، والجسدية، والمادية، الفردية والاجتماعية، وفي جميع المجالات العلمية والعمليَّة، على النقيض من جميع الحضارات قديمها وحديثها.

أما أبواب الكتاب الأربعة، فتفصيلها كما يلي:

الباب الأول: وفيه أربعة فصول، تناولت بالتحليل الأسس الفكرية الفلسفية والواقعية للبناء الفكري للحضارة الإسلامية.

وكان عمل المؤلف فيه مبتكراً رجع فيه إلى القرآن والسنّة مباشرة، فاكتشف فيهما ما لم يتعرَّضْ لَهُ معظم الكتاب في الحضارة الإسلامية، إذ كانت أعمالهم متأثرة بالكتّاب الغربيين في الحضارات الإنسانيّة، قاصرة على الجوانب المادية، وبعض مظاهر السلوك الإنساني.

أما هذا الكتاب فقد استخرج الأسس الفكرية الجذور للحضارة الإسلامية، كالحقّ والخير والكمال والجمال، ومفهومات الإسلام فيها، وأبان أنّ أهم عناصر الحضارة الرفيعة هي الارتقاء الفكري في المعارف، والالتزام الإرادِيّ بالحق، والأخذ بالكمال الخلقي والنفسي، والكمال السلوكي في الحياة، والكمال الإبداعي، وكمال التعايش الجماعي. . ، وأوضح العالمية والشمول في رسالة الحضارة الإسلامية، وكيف أنها مفتوحة الحدود، وأبان المثاليَّة والواقعية في الحضارة الإسلامية وَفْقَ مفاهيم الإسلام.

ثم يـأتي من بعد ذلك الارتقـاء الماديّ في الأنظمة وفي الأشـياء لخدمة لذّات الحياة، ومتع الأنفس فيها، وفي الفنون الجميلة والصناعات.

البـاب الثاني: وهو يشـتمل على مقدمات عـامة وسـتة فُصُول. تناولت بالتفصيل وسائل بناء الحضارة الإسلامية بناءً واقعياً، هي:

١ ـ التعلم والتعليم. ٢ ـ تطبيق العلم بالعمل. ٣ ـ التربية. ٤ ـ الجدال بالتي هي أحسـن. ٥ ـ إقامة الحكم الإسـلامي. ٦ ـ الجهاد في سبيل الله بالقتال، مع بيان دواعيه وشـروطه وقوة الروح المعنوية فيه، وتاريخه في تاريخ بُنَاة الحضارة الإسلامية.

وكان عمل المؤلف في ذلك كلّه جديداً مبتكراً في جمعه وترتيبـه واستخراجه من مصادر الدين الإسلامي.

الباب الثالث: وفيه تسعة فصول، اشتملت على صور ونماذج من تطبيقات المسلمين الحضارية في مختلف المجالات العلمية والعملية. وكان عمل المؤلف فيه جمعاً مسبوقاً فيه من مؤلفين كثيرين، وقد يتميز بمهارة في الصياغة والترتيب وحسن الانتقاء.

وقد شملت هذه الصور:

١) تلقي القرآن وتدوينه وتدبره. ٢) السنّة النبوية المطهرة. ٣) أثر القرآن والسنة في ابتكار كثير من العلوم الإسلامية. ٤) تأسيس علْمَي النحو والصرف والمعجمات العربية. ٥) تأسيس علم الفقه الإسلامي وأصوله وتدوينهما. ٦) نشأة علمي التاريخ والجغرافية والتدوين فيهما. ٧) اهتمام المسـلمين بالآيات التي تتعلق بآيـات الله في الكون، وأدواتها العقليـة والتجريبيـة. ٨) عناية المسـلمين بالعلم والتعليم والتربية على الفضائل الإسلامية. ٩) نظرات حول تطبيقات حضارية مختلفات قام بها المسلمون

في الشؤون الاقتصادية والمالية عامة والتنظيمات الإدارية، والقضاء ونظام الحسبةِ، والتدبيرات العسكرية، والعمران والخط العربي، والصناعات الخزفية والزجاجية والنسيج وغيره.

الباب الرابع: وفيه مقدمة وست فقرات، اشتملت على عرض لمحات من أثر الحضارة الإسلامية في الحضارات الإنسانية الأخرى.

وكان عمل المؤلف فيه اقتباساً من الذين كتبوا في هذا الموضوع منصفين.. ،ودوّن تتبّعات تاريخية مفصلة من كتاب (شمس الله على الغرب)[1]، وأبان واقع حال أوروبة والغرب كلّه إبان ازدهار حضارة المسلمين، وأثرهم في همج الشرق الفاتحين المدمّرين.

وهكذا فقد جمع (الشيخ) في هذا السفر بين المبتكر والمقتبس. وأهم ما جاء به هو اكتشافه ما تميزت به الحضارة الإسلامية، وتفردت من أسس ومفهومات وتعاريف ووسائل انتجَتْ واقعاً حضارياً متميّزاً للأمة الإسلامية، دام قروناً مديدة على مقدار ما دامت أمة الإسلام متمسّكة بعقيدتها ومبادئها ومفهوماتها. فكان هذا البناء الحضاري الشامخ فريداً في نوعه، كالإسلام الذي انبثق عنه.

وهكذا فقد كان هذا الكتاب فريداً في مكتبة علم الحضارات العالمية عامة والإسلاميّة خاصة، استخراجاً واستنباطاً وموضوعاً وتنسيقاً وأسلوباً.

وإنني أدعو بصدق نيّةٍ كل من يريد أن يكتب في تاريخ الأمم وحضاراتها، وبالذات الأمة الإسلامية، بل كل مَنْ يَعمل في ميدان التربية والتعليم والتوجيه والتوعية، ووضْع السياسات التعليمية والإعلامية..

---

(١) تأليف المستشرقة الألمانية (زغريد هونكه)، ترجمة الدكتور فؤاد حسنين ط دار المعارف بمصر.

أن يطّلع على مستجدات هذا السفر، لبناء الأجيال الإسلامية المعاصرة بناء يرتقي بها فكرياً ونفسياً، وسلوكياً وجسدياً، معنوياً وماديّاً، فرديّاً وجماعياً، بناء يجعلها تمثل الإنسانيّة في أرقى صورها، ويحررها من عقدة الشعور بالنقص تجاه قوى الحضارات المادية الأخرى المعاصرة.

الأمر الذي يجعلها تنقذ نفسها من فساد وانهيارات الحضارات الأخرى.. بالإضافة إلى ما يمكن أن تؤدّيَهُ للبشرية والإنسانية عامة من خدمة صحيحة صادقة شاملة لا تقتصر على الظواهر دون الجواهر.

ولا سيما في هذا العصر الذي استشرت فيه الحضارة المادية التي تعتمد على منطق القوى القهرية التي تسيطر على أقوات الناس، وتغتال أمنهم وسلامتهم وحريتهم، مما يجر الإنسانية كلّها نحو الفساد والانهيار والدمار.

* * *

٦ ـ كتاب روائع من أقوال الرسول ﷺ

دراسات لغوية وفكرية وأدبية

سفر من مجلد واحد تبلغ صفحاته (٥٦٠) صفحة اشتمل على شرح لخمسة وعشرين حديثاً، منتقيات من روائع أقوال الرسول ﷺ، بطريقة منهجية علمية، وبأسلوب معاصر سهل ميسّر. وكان في مبدئه شرحاً لعشرة أحاديث فقط ضمن مذكرات توزّع على الطلبة الجامعيين، ثم كانت طَبعَتُهُ الأولى على شكل كتاب عام ١٩٧١م/ ١٣٩١هـ. وأضافَ إليه المؤلف بعد ذلك أحاديث أخرى في طبعاته المتتالية، حتى بلغ خمسة وعشرين حديثاً.

وقد اتخذ المؤلف المنهج التالي، مطبقاً لدى الشرح والتحليل ما يناسب منه الحديث المشروح:

ـ بعد ترجمة راوي الحديث.

١ ـ بيان اللغة والمعنى المراد، وذلك ببيان المفردات التي تحتاج إلى إيضاح من كلمات الحديث، ودراستها دراسة لغوية علمية معجمية، وفق دلالاتها اللغوية، وبيان المراد بها في الحديث.

٢ ـ الشرح العام ويشتمل على شرح أدبي وفكري، وذلك بإدراك المراد به، وفهم العلاقة الفكرية بين مفرداته وجمله.

٣ ـ استخراج ما يستفاد من الحديث لإبراز الحصيلة الفكرية التي

يهدف إليها النص، وتلخيص الأفكار والمبادئ والأحكام التي تستفاد من الحديث.

٤ ـ بيان بعض الوجوه البلاغية والإعرابية التي يحسن التنبيه عليها، أو التذكير بها، مشيراً إلى الأسلوب البياني المختار في الحديث بغية تدريب الطالب على استخراج البلاغيّات والنحويات من النص.

وقد اختير هذا الكتاب ليكونَ هو الكتاب المقرر لتدريس مادة: (دراسات أدبية من الحديث الشريف) في بعض الجامعات العربية، وطبع عدة طبعات، وكان نموذجاً يحتذى لطلاب الدراسات الأدبية في القرآن والسنة، ولكل الباحثين في كنوز السنة المطهرة.

* * *

٧ ـ كتاب الأمة الربانية الواحدة

تحقيقاً للهدف الذي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يعمل على الوصول إليه، ضمن وحدة الأمة الإسلامية، ليصبح مع سائر إخوانه المؤمنين المسلمين خير أمةٍ أخرجت للناس، وهو الأمر الذي يخافه ويحاربه أعداء الإسلام على مختلفِ مذاهبهم ونحلهم. فقد ألف الشيخ كتاباً صغيراً في حجمه، كبيراً في مغزاه تبلغ صفحاته (١٢٢) صفحة من القطع المتوسط، أعده المؤلف (للمؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة)، الذي دعت إليه (الجامعة الإسلامية) في المدينة المنورة، الذي انعقد في ربيع الأول سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، فكان أحد البحوث الإسلامية التي قدمت إليه للاستعراض والمناقشة، وكانت طبعته الأولى في ذلك العام. وقد عالج المؤلف فيه ما يلي:

الفصل الأول: المفهوم الإسلامي لوحدة الأمة الربانية.

الفصل الثاني: موضوع الروابط الإنسانية بشكل عام، وعناصر التلاقي وعناصر الافتراق في المجتمع البشري، وتحليل الروابط الإنسانية وتقويمها.

الفصل الثالث: وفيه شرح لروابط الأمة الربانيّة الواحِدَة، والوشائج المؤازرة لها، التي لا يُوجدَ لها نظير لدى أي مجتمع بشري ذي روابط، في قوتها، وفي دوامها، وفي صمودها ضدّ كلّ عوامل التقطيع والتمزيق التي عملت بها طوال قروُنٍ مَدِيدة.

الفصل الرابع : وفيه شرح لحركيّة الأمة الربانية في عصر الرسول ﷺ .

الفصل الخامس : شرح فيه المؤلف فوائد وحدة الأمة، وخطوات على طريق العودة إلى وحدتهم الكبرى .

الفصل السادس : ألقى فيه بعض الضوء على مكايد أعداء الإسلام لتفتيت وحدة المسلمين .

الفصل السابع : أجاب فيه الشيخ على أسئلة موجّهة تدور حول هذا الموضوع من بعض الصحف .

والبحث بمعظم عناصره عمل مبتكر، مقتبس من القرآن والسنة .

ـ هذا وبعد طبعة الكتاب الأولى، وهي من القطع المتوسط (١٧× ٢٤) ـ (١٢٢) صفحة، طبع طبعة ثانية من القطع الصغير (١٤,٥ × ١٩,٥) ـ (١٧٣) صفحة .

ـ وقد نال هذا الكتاب على صغر حجمه إعجاب أهل الفكر المهتمين باكتشاف عناصر الوحدة الإسلامية، وترجَمَهُ بعض الغيورين من الأخوة الأتراك لإيقاظ روح الأمّة الإسلامية الواحدة في الشعب التركي، بعد أن وأَدَتِ الثورةُ الكمالية هذه المشاعر، تلك الثورة التي قضت على آخِرِ خلافَةٍ إسلاميّة .

* * *

٨ ـ ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة

مجلد واحد تبلغ صفحاته (٤١٦) صفحة، طُبع لأول مرة عام ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م، وهو يحتوي على منظومة فكرية تكشف الشجرة الحِكْمية الربانية التي تمَّ بمقتضى أصولها وفروعها ترتيب خطة الخلق:

«بخلْقِ السماوات والأرض وما بينهما، وخَلْقِ الناس وابتلائهم في ظروف الحياة الدنيا. وإنزال الدين المصطفى للموضوعين موضع الابتلاء، ومن ثَمَّ إماتة الممتحنين، وإقامة برزخ فاصل، وإنهاء ظروف الحياة الدنْيا، يتْلُوهُ البعث لحياة أخرى، يكون فيها الحساب وفصل القضاء وتحقيق الجزاء، وإعداد دارين، إحداهما لنعيم المتّقين والأبرار والمحسنين، والأخرى لعذاب العاصين، والكافرين والمجرمين حتى أسفل الدركات».

وهذه المنظومة الفكرية تناولت ما يلي:

١) نظرات الناس إلى الكون والحياة، ما طابق منها الحق، وما انحرف عنه.

٢) إرادة الله وإرادات العباد، وما هو المطلوب منهم في ابتلائهم.

٣) الابتلاء والتسخير بأنواعه، والعلاقة بينهما، وحِكَمُ الله في النعم والمصائب.

٤) تقسيم ما يمكن العِلْمُ به إلى ثلاثة أقسام، إما طاهر وإما نجس،

وإما خليط منهما، وأن كلاً من الطهارات والنجاسات قسمان: ماديّة ومعنوية.

٥) الربوبية، والعبودية، والألوهية.

٦) السمع والطاعة.

٧) العبادة (أسُسُها وفلسفتها ومفاهيمها وذكر الله فيها).

٨) أثر العقيدة في تطبيق الشريعة.

٩) خصائص الشريعة الإسلامية السَّبْعة.

ـ واستخرج بالتأمل فلسفةَ العبادة فكرياً ونفسيّاً، وشمولَها لكل جوانب سلوك الإنسان، والحكمة من تنوع أشكالها وألوانها وصُوَرها. وأنها تمثل أفعالاً في عبادة الله، من مختلف أنواع سلوك الإنسان في حياته.

وهو كتاب ينبغي أن يأتيَ تفهم ما فيه مرافقاً أو سابقاً للتوسع في دراسة العقيدة الإسلامية. لأنّه يكشف الحكمة الربانية بصُورَة فكريّة نصيّة مستخرجة من القرآن الكريم مباشرة.

وعمل المؤلف فيه عمل مبتكر، لم يُسْبَق إلى مثله، وقد هدته إليه ـ بعد فضل الله عزَّ وجلّ ـ طريقتُه الخاصَّة في تدَبُّر الموضوعات القرآنية القائمة على جمع النصوص القرآنية المتعددة حول موضوع كليّ واحد، وتدبرها تدبّراً تكاملياً.

ثم النظر في وضع ما توصل إليه حول هذا الموضوع، ضمن شجرة الإسلام الكُبرى المحكمة التكامل، الموافق للأصول العقلية، والمطابق للصحيح منها تطابقاً تاماً. فهو عمل فذّ من أعمال المؤلف.

وقد لاقى هذا الكِتابُ إقبالاً من أهل الفِكْر المنطقي الذين يبحثون

عن علّة الوجود الإنساني، وحاجة الإنسان إلى الدين، وفلسفة وجوده ضمن عناصر الوجود الأخرى. والمفهومات الإسلامية الشاملة للوجود كله.

وهو يردُّ على تساؤلات الكثيرين ممَّنْ يجْهَلُونَ الهدف من خلق الإنسان، ويتساءلون دائماً (لماذا خُلِقْنا)؟ لأنّ معظم الناس لا يعرفون أو لا يدُرِكون الغاية من خلقِ الله لهم، وبأنها لِوَضْعِهم في دائرة الابتلاء والامتحان، بعد أن زوّدهم بكافة وسائل الامتحان، من عقل مميّزٍ، وإرادة حُرّةٍ يختارون بها ما يشاءون، وإدراكٍ عِلْمِيٍّ كافٍ للتكليف، ونزعاتٍ ودوافع تجعلُهم يقومون بأداء الامتحان على الوَجْهِ الذي يختارونه. وهنا يكمن سرُّ الابتلاء في هذه الحياة الدنيا!.

كما أن الكثيرين لا يُدركونَ أنّ الدنيا جعلت فقط للابتلاء، والآخرة للجزاء!!!، ولو استوعَبَ الإنسانُ هذا المفهوم العَقَدِيَّ، وأدركه حقَّ الإدراك، لاختار طريق السَّلامةِ، ولصَلَحَ حالُهُ، وتقبّل قضاء الله وقَدَرَهُ فيه برضًى وتسليم وطواعية وسكينةِ نفس، وابتغى في كل أعماله الدار الآخرة، ما دامت الدنيا دار ابتلاء وفناء، والآخرةُ دارَ خُلود وجزاء، يسعَدُ فيها الصالِحُونَ وفيها ينالون «ما لا عَيْنٌ رأت ولا أُذُنٌ سَمِعتْ ولا خَطَرَ على قلب بشر!».

* * *

٩ ـ كتاب تيسير فقه الزكاة
(تبيين وتقنين وترجيح)

رسـالة مما يمكن وضعْـهُ في الجيب من (٨٢) صفحـة من القطع المتوسط. وقد كتبها المؤلف (لجمعية بيت الخير في دبي ـ من الإمارات العربية المتحدة) بناء على رغبتها، فطبعتها هذه الجمعية على نفقتها، ثم طبعها (الشيخ) سنة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م للاستفادة منها، لما فيها من تبيين وترجيح وتقنين على شكل مواد كالموادّ القانونية، الأمر الذي يُسَـهّلُ فَهْمَها، وتداولها وتطبيقها بيُسْر.

وأبان (الشيخ) أنه لم يلتزم في هذه الرسالة مَذْهباً معيَّناً، بلْ اختارَ مِنَ الأحكام ما رآهُ هُوَ الأرجح بالنّظر إلى الدليل.

وجعل الأحكام فيها بصيغة موادَّ قانونية بلغت سبعاً وخمسين مادّة، وقسّمها إلى (١٤) باباً كما يلي:

الباب الأول: مقدمات توجيهية.

الباب الثاني: تعريفات وبيانات عامة.

الباب الثالث: مصارف الزكاة، أي الأصناف الثمانية التي تُدفَعْ لهم الزكاة.

الباب الرابع: زكاة الذهب والفضة وسائر النقود.

الباب الخامس: زكاة الأموال التجارية والصناعيّة.

الباب السادس: زكاة المقتنيات من الذهب والفضة وحُلِيّ النساء منهما.

الباب السابع: زكاة الدُّيُون.

الباب الثامن: زكاة الزُّرُوع والثمار.

الباب التاسع: زكاة المقتنيات من الأنعام للاستفادة من خيراتِها.

الباب العاشر: زكاة أسهم الشركات.

الباب الحادي عشر: زكاة الممتلكات المعدّة للاستفادةَ منْ رَيْعِها.

الباب الثاني عشر: زكاة ما يُعثر عليه من الكنوز.

الباب الثالث عشر: زكاة المعادن.

الباب الرابع عشر: زكاة الفطر.

وقد نالت هذه الرسالة بحمد الله استحساناً من الفقهاء على اختلاف مذاهبهم الفقهية، وصارتْ مرجعاً يُرجَعُ إليها في موضوعها، ولاسيما لتلاؤمها مع كافة مستويَات القراء على اختلاف مستويات ثقافاتهم.

* * *

١٠ ـ كتاب فقه الدعوة إلى الله
وفقْهِ النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

سفر بمثابة موسُوعةٍ يقع في مجلّدين، تبلغ صفحاته قرابة (١٢٣٤) صفحة، عدا الفهارس. ظهرت طبعته الأولى سنة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، وقد دوّنه (الشيخ عبد الرحمن) بعد عمر في مسيرة الدعوة إلى الله على بصيرة تجاوز فيها الخمسين عاماً، في هذا القرن المليء بشتى أنواع الاضطرابات والفتن والحروب والثورات، وغزو المذاهب المعادية للإسلام، ومحاربة الإسلام وأهله بشتى الوسائل للقضاء عليه وعلى أهله، والتعتيم عليه وتشويه صورته من قبل وسائل الإعلام العالمية. وقد وجد (الشيخ) أن الوسيلة الأهم في هذا العصر بالذات، هي العمل على نشر الإسلام والتعريف به والدعوة إليه، وغزوهم بالفكر الإسلامي الخيّر، كما يغزوننا بفكرهم الهدَّام، ما دمنا أمَّة رسالة.

بالإضافة إلى ضرورة بيان أسس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل بلاد المسلمين، ليَصلُحَ حالُهمْ! ، ففاقد الشيء لا يستطيع أن يعطيه، لذلك حاول أن يكون كتابه هذا، جامعاً أسس الدعوة إلى الله، والنصح والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجامعاً لأصولها ومناهجها ووسائلها وآدابها، استنباطاً من مصادر الشريعة الإسلامية. وقد فرَّق فيه بين (الدعوة إلى الله) التي تكون لغير المسلمين، لتعريفهم بالإسلام وهدايتهم إليه، وبين (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) الذي

ينبغي أن يكون داخل المجتمعات الإسلامية لنهيهم عن المنكرات وأمرهم بفعل الواجبات، وحثّهم على فعل الصالحات. وأما النصح والإرشاد، فهو وظيفة من وظائف المسلمين عامة.

هذا وقد عمد المؤلف في هذا السفر إلى استقراء النصوص من القرآن والسنة، كعادته، وسَبْر معانيها، واستخراج ماوفّقهُ الله إلى استخراجه من الأصول العامة والوصايا، والمناهج والسّبل، والوسائل والأسباب، التي تساعد حملة الرسالة من أتباع محمد ﷺ، على أن يتعرفُوا على ما ينبغي لهم اتخاذُهُ لدى أداء رسالاتهم، رجاء أن يؤدوا وظائفها أداءً رشيداً مفيداً.

وقد عقد له خمسة أبواب، فيها اثنان وعشرون فصلاً:

الباب الأول

وفيه ثلاثة فصول، وقد اشتمل على مقدمات تأسيسية وتعريفات عامة، وتناول فيه بيان وظيفة الأمة الإسلامية في حملها رسالة الرسول في الدعوة إلى الله، وبيان أثر النصح والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وبيان أصناف الناس الذين توجّه لهم وظائف الرسالة.

الباب الثاني

اشتمل على بيان الصفات التي يجب أن يتحلى بها حَامِلُ الرسالة من المسلمين، وأهمها صفة الصبر، وتجرده من المصالح الشخصية، وتحلّيه بمكارم الأخلاق، وتطبيقه لما يدعو إليه، وتحلّيه بصفات عباد الرحمن ليكون أسوة حسنة، وتمتعه بالأهلية البيانية والأهلية العلمية.

الباب الثالث

وفيه فصلان:

الأول: اشتمل على القواعد والوصايا الكلية العامة.

والثاني: تناول بيان الآفات التي يتعرض لها حملة الرسالة.

الباب الرابع

اشتمل على بيان مناهج ومسالك ووسائل الهداية والإصلاح والحماية بالقول والعمل، ضمن سبعة فصول.

وقد شرح فيه التوجيه المباشر، والتوجيه غير المباشر، وبيان أنواعهما. والعقبات الصادّات للتوجيه، وأساليب معالجتها، وشرح فيه المنهاج البياني ومسالكه (الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن).

وأبان أيضاً وسائل الأداء البياني، ويتضمن:

الخُطْبة وشروطها، والدرس، والمحاضرة، والحديث والمحادثة، ووسائل السؤال والجواب، والكتاب والمقالة، والشعر والقصة والتمثيل. وأدوات التوصيل الإعلامي. ومسؤولية حملة الرسالة بالنسبة إليها.

وشرح فيه المنهج الربّاني للسياسة الحكيمة الموجهة للرسول ﷺ، والدعاة من أُمَّته، أخذاً من نصوص القرآن ووصاياه، التي بلغت اثنتين وثمانين وصيّة في هذا الشأن، مستخلصة من اثنين وعشرين نصاً في سورٍ متعددات!.

وتناول أيضاً فيه بيان المجتمع الإسلامي، حماية وتغييراً، لما يجري فيه من منكرات.

الباب الخامس

اشتمل على استعراض نماذج تطبيقية من هدي الرسل عليهم السلام، ثم من سار على هديهم . . ، ونماذج من دعاةٍ عرض القرآن دعوتهم ونصرتهم لدينه، ونماذج من وصايا الآباء للأبناء، وصور ونماذج عامة. كما عرض نماذج من علماء المسلمين ونصحائهم، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر منهم.

وفي دراسته لعناصر هذا الكتاب، جمع كل النصوص القرآنية التي رأى فيها توجيهاً ربانيّاً حكيماً يتعلق بموضوعه، وتدَبَّرهَا بأناة، واستخرج منها ما فيه خدمة لأغراض هذا السِّفر الفريد.

فجاء هذا الكتاب متميّزاً في موضوعه استنباطاً وجمعاً وتأصيلاً وشمولاً والتزاماً بالمفهوم الذي يدل عليه عنوان الكتاب.

كما جاء منهاجاً مُرْشداً ومفصلاً لمن أراد اتّخاذ الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيلَهُ وهدفَهُ.

وتظهر الحاجة الماسة إلى هذا الكتاب، لانْدِفاع الكثيرين والكثيرات بنيّةٍ حسنةٍ للعمل في سبيل الدعوة والنصح والإرشاد، وهم غير مؤهلين لذلك!!، إما لقلّة زادهم الثقافي الديني، أو لافتقارهم إلى أساليب الدَّعوة والنصح والإرشاد الحكيمة . . ، الأمر الذي يُسيء إلى الإسلام وأهله، وإلى رسالة الإسلام المأمورين بتبليغها على بصيرة، بالحكمة والموعظة، والجدال بالتي هي أحسن.

* * *

١١ ـ كتاب: الوجيزة في العقيدة الإسلامية

رأى (الشيخ) أن كثيراً من القرَّاء ليس لديهم الصبر على دراسة (كتاب العقيدة الإسلامية وأسسها)، مع حاجتهم الملحَّة إلى معرفة أركان الإيمان بأسلوب ميسّر موجز، يُلائم أسلوب الكتابة المعاصرة.

فاختار من بحوث الكتاب الكبير ما لا يجوز أن يجهله كل مسلم بلغ مبلغَ الرشد، من قضايا أركان الإيمان الستّة، وما ينبغي أن يكون مزوّداً به فكرياً للدفاع عن عقيدته الإسلامية التي تثبتها الأدلة العقلية والعلمية البرهانية، وسماها:

(الوجيزة في العقيدة الإسلامية)، التي طبعت لأول مرة عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، فجاءت هذه الوجيزة في نحو (٢٠٠) صفحة من القطع الصغير، الذي يمكن أن يحمل في الجيب، وَلم يأتِ فيها بجديد لم يذكره في الكتاب الأم. إلا أن (الشيخ) عمد في هذا الكُتيب إلى أن يكون ميسّراً سهلاً للقارئ العادي غير المتخصص، ولا يستطيع أن يتتبع دقائق مفهومات المسائل.

* * *

١٢ ـ كتاب: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها

رأى (الشيخ) أن كتابه الكبير ذا المجلّدين بعنوان (الأخلاق الإسلامية وأسسها) قد لقي القبول بفضل الله ومَنِّهِ وكرمه من المهتمين بالفكر الإسلامي، ولا سيما الدعاة والخطباء، والوعّاظ، والأساتذة الجامعيُّون.

إلا أن أوساط المثقّفين بالثقافات الإسلامية يجدونه كتاباً كبيراً يصعب عليهم استصحابه، أو يصعب عليهم قراءته لانشغالهم، وطلَب منْهُ بعْضُ المعجبين بمؤلفاته أن يأخذ منه وجيزة، ويطبعها في كتيّب مستقل، كما فعل في كتاب (العقيدة الإسلامية وأسسها)، فاستحسن الفكرة، واستخلص من مجلّدي كتاب (الأخلاق الإسلامية وأسسها) كُتيّباً يقع في نحو (٥٠٠) صفحة من القطع الصغير، اختار له مما في الأصل، ما لا بدّ من اطّلاع كلّ مسلم راشد عليه، ولم يكن من المتخصّصين، ولا من القادرين على التوسع. باعتبار أن الكتاب الأصل قد كان بمثابة عارِضٍ وشارحٍ بتسلسل علمي ومنطقي شجرة الأخلاق الإسلامية. مع بيان جذورها العقليّة المستمدّة من كتاب الله المجيد، وسنة رسوله المطهرة

وقد جاءت هذه الوجيزة المكثّفة موافقة لرغبات الكثيرين من المتعطّشين لمعرفة الفكر الإسلامي والخلق الإسلامي بأسلوب سهلٍ ميسَّرٍ مُبَوَّب. وكانت طبعته الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

* * *

١٣ ـ كتاب توحيد الربوبية وتوحيد الإلـٰهية

رسالة توضع في الجيب من(١٢٨) صفحة، صدرت طبعتها الأولى سنة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م. وقد اشتملت على عشرة فصول وخاتمة، كتبها (الشيخ) بشكل موضوعي بَحتٍ، وفيها عشرة فصول:

الفصل الأول: ويتضمن مفهومات تأسيسية:

١ ـ مقدمة حول (الإلـٰهيّة) و(الأُلوهية)، وفيها تنبيه على خطأ شائع حول لفظ (الأُلوهية) التي هي العبادة، وإطلاقها بمعنى تفرّد الله بأنه الإلـٰه المعبود.

٢ ـ مقدمة حول عقائد كفار العرب في جاهليتهم، مع بيان خطأ المقولة الشائعة بأن جميع العرب في جاهليّتهم كانوا يؤمنون بتوحيد الربوبيّة، ولكن كانوا لا يؤمنون بتوحيد الإلـٰهيّة لله تعالى.

٣ ـ بيان أن الربوبية هي الأساس العقلي الذي تُبنى عليه الإلـٰهية.

٤ ـ بيان منهج القرآن الكريم للإقناع بتوحيد الإلـٰهية لله عزّ وجلّ.

الفصل الثاني:

١ ـ تحليل وتفصيل معنى الربوبية.

٢ ـ وذكر أسماء الله الحسنى التي تدل على عناصر الربوبية.

الفصل الثالث: معنى العبودية، وبيان الفرق بين العبودية الجبرية والعبودية الاختيارية.

الفصل الرابع: شرح تحليلي لُغوي لمعنى الألوهية والإلٰهيّة، والفرق بينهما.

الفصل الخامس: أمثلة من الأدلّة القرآنية على توحيد الربوبية لله عزَّ وجلّ، مقرونة بالشرح والتحليل.

الفصل السادس: أمثلة من الأدلة القرآنية على توحيد الإلٰهيّة، مقرونة بالشرح والتحليل.

الفصل السابع: بيان عقائد المشركين في جاهلياتهم، أخذاً من الدلالات القرآنية.

الفصل الثامن: شرح تحليلي مُستند إلى النصوص القرآنية يُبيّن خطأ الرأي القائل: إنّ جميع العرب في جاهلياتهم كانوا يؤمنون بتوحيد الربوبية!، بل كانوا مشركين في كثير من عناصر ربوبية الله عزَّ وجلّ، وإن كانوا يؤمنون بأن الله هو خالق السماوات والأرض.

الفصل التاسع والعاشر: تحدث فيهما (الشيخ) عن القبوريين، وعن الدهريين، والملحدين الماديين.

ـ وعليه فإنّ هذا الكتاب يعتبر تتمة مفصّلة لبحث الربوبية والإلٰهيّة في كتاب (العقيدة الإسلامية وأسسها). ورجا المؤلف الذين لهم أفكار مُخالِفةَ سابقة أن لا يتسرّعوا في إصدار أحكامهم قبل أن يقرؤوا الرسالة قراءةً كاملة بإمعان، فمن كان لدَيْهِ اعتراض على شيءٍ مما جاء فيها، فليُهْدِه للمؤلف مقروناً بالحجّة، وهو مستعِدٌّ لأن يرجع إلى الحق، إذا تبيَّن له.

* * *

ثانياً

سلسلة دراسات قرآنية

(١) كتاب: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلّ

سفر من مجلد واحد تبلغ صفحاته (٨٠٠) صفحة، وهو كتاب متميّزٌ فَرِيدٌ في نَوعِه، جمع فيه المؤلف ما استخرجه من قواعد لتدبر كتاب الله عزّ وجل، من خلال صحبته لكتاب الله، مفسراً متدبّراً محللاً متعايشاً معه، يَغُوصُ في بحارِه بحثاً عن دُرَرِه وأسراره لمدة تزيد على أربعين سنة. . ، وكانت طبعته الأولى عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. إذ كان في بادئ أمره يشتمل على سبع وعشرين قاعدة، ثم استخرج قواعد أخرى فأضافها حتى أصبحت أربعين قاعدة، وأضافَ إليها أمثلة أخرى استخرجها للقواعد السابقة واللاحقة، وصدرت طبعته الثانية ذاتُ الأربعين قاعدة سنة ١٤٠٩هـ ـ الموافق ١٩٨٩م.

وهذه القواعد في تدبر القرآن لم يَسْبِقْهُ إلى استخراج معْظَمِها باحثٌ قبله. . ، وذكر أنه اعتمد في استخراج كثيرٍ من هذه القواعد على الاستقراء الشامل للقرآن الكريم، مع سَبْر المعاني والدلالات.

وقد أُعجب بهذا الكتاب كثير من المشتغلين بتفسير كتاب الله، واستفادوا منه. ورأوا أن على متدبّري كتاب الله عزَّ وجلّ أن يضعوا نصب أعينهم هذه القواعد ويهتدوا بهديها، فهي بمثابة تأسيسٍ لعلمٍ جديدٍ يصح أن يسمى (أصول التفسير)، قياساً على (أصول الفقه).

والكتابُ أيضاً فيه فوائد جمة للطلاب المتخصصين في دراسات كتاب الله عز وجلَّ، لأنّ فيه مفاتيح لأمور كثيرة يمكن أن تغلق عليهم، ويعتبر هذا الكتاب من أجلّ الأعمال التي فتح الله بها على المؤلف، لما فيه من خِدمةٍ لكتاب الله المجيد.

وليت الذين يملكون حُسْن التدبّر، أن يُعيدوا النظر في تدبر هذا الكتاب الرباني العظيم، مستهدين بما اشتملتْ عليه القواعد التي استخرجها (الشيخ) بعد طول ممارسة وتدبُّر وتأمُّلٍ، أثمرت ثماراً طيبة بحمد الله.

ولعلهم يستخرجون قواعد أخرى لم يتوصل إليها (الشيخ) ليضيفوها إليها..، كما فعل علماء المسلمين من قبل في تأسيس علم (أصول الفقه). وعلى الله قَصْدُ السبيل.

* * *

(٢) كتاب: تدبر سورة الفرقان

في وحدة موضوع السورة

كتاب كان إصداره الأول عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م. وهو سفر من مجلد واحد تبلغ صفحاته (٤٥٠) صفحة. وهو عمل رائد مبتكر في طريق تدبّر القرآن، قدَّم فيه المؤلف نموذجاً لاستخراج الموضوع الواحد الذي تدور عليه آيات السورة. وقد اكتشف بعد الدراسة المتأنّية على طريقته في التدبر، أن موضوع سورة (الفرقان) تعبر عنه الآية الأولى منها!.

فموضوعها يدور حول أربعة خطوط: (**الله، القرآن، الرسول، المرسل إليهم**)، وجاءت آيات السورة بمثابة فروع لشجرةٍ جذرها الإيمان، وله أربعة فروع عظمى هي: **الله، القرآن، الرسول، المرسل إليهم**.

ومنهج وحدة موضوع السورة القرآنية منهج شجري، لا يُشترطُ فيه أن تكون كل آية مرتبطة بالتي قبلها!، ربط حلقات السلسلة بعضها ببعض!، بل إن الارتباط يكون بفرع من فروعها، فقد تكون آية أو اثنتان أو ثلاثة أو أكثر وحدة مرتبطة بفرع أو أكثر من فروع الشجرة، ثم تأتي وحدة أخرى لها ارتباط آخر، وتأتي وحدة ثالثة لها ارتباطٌ ثالث، ثم قد يتكرر ارتباط الوحدات الجديدات بواحد أو بأكثر من الفروع الأربعة الأصول.

وهذا الاكتشاف الذي فتح الله عليه به لم يَسْبِق أحدٌ إلى اكتشافه قبلَ المؤلف، إذ إنهم قد وقعوا في واحد من خطأين:

إما خطأ انتزاع ارتباط متكلّف ممجوج لا يقبله البليغ.

وإما خطأ تصوُّر أنَّ السورة مفكّكة الموضوعات! ، ليس لها وحدة موضوعية! وهذه المقولة أثارها بعض المستشرقين ليكيدوا القرآن وأهله.

وأنقل عن صاحب هذا السفر بإيجاز خطوات منهجه في تدبره الفريد في هذه السورة:

(١) الاهتمام بالنظرة الكلية الشاملة القائمة على أن السورة ذات موضوع واحد، حسب القاعدة الثانية من كتابه (قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلّ).

(٢) الاهتمام بالنظرات التفصيلية للمعلومات والقضايا والأفكار الواردة فيها صراحة أو في مطويات النص.

(٣) الاهتمام بإلقاء الضوء على ما يتصل بالدعوة، وطرائقها، وواجبات الداعي، ووظيفته، وصفاته النفسية والسلوكية.

(٤) الاهتمام بإبراز تسلسل البناء الفكريّ التكامليّ لبعض الموضوعات القرآنية التي اشتملت عليها السورة، والتدرج التعليمي التربوي.

(٥) الالتزام بمعظم قواعد التدبر التي كان (الشيخ) قد استنبطها وجعلها في مؤلف مستقل.

(٦) إتباع السُّورة بملاحق منفصلة حول قضايا متصلة بها، أو مقتبسة منها، تمثل موضوعات مهمة، وهي ثمانية ملاحق:

الملحق الأول: أبان فيه شجرة موضوع السورة، مع جدول بياني وزّع فيه آيات السورة على الخطوط الأربعة لموضوعها.

الملحق الثاني: حول بلاغيات وأدبيات وفنّيات اشتملت عليها السورة.

الملحق الثالث: حول البيان المقرون بالحجة والبرهان، أو بالتفسيرات الموضحات للحكمة من الاختيار الرباني.

الملحق الرابع: حول منهاج ووسائل التربية.

الملحق الخامس: فيما ينبغي أن يتحلى به أو يأخذ به حامل الرسالة الإسلاميّة أخذاً من السورة.

الملحق السادس: حول ما اشتملت عليه السورة من أدب الرسول ﷺ مع ربه، وكيف جاء التعقيب الرّبّاني.

الملحق السابع: حول عقيدة مشركي العرب بشأن توحيد الإلـٰهيّة، وتوحيد الربوبية لله عزَّ وجلّ، استنباطاً من آيات القرآن المجيد في مختلف السور.

الملحق الثامن: حول اعتراض الأمم على كَوْنِ رسُلِهِمْ بشراً، أخذاً مما جاء حول هذا الموضوع في مختلف السور.

وفكرة إضافة الملاحق هذه في آخر السور التي لم يُسْبَق إلى مِثْلها؛ لها **فائدتان**:

الأولى: أنها فُصِلت عن سِياقِ التفسير الكليّ، لتترك المجالَ لمن أراد أن يفهم المعنى العام للسورة، دون البحث في مواضيع قد لا تُهِمُّهُ.

والفائدة الثانية: أنها تقدِّم بحثاً مستنبطاً جاهزاً لمن أراده، حسب تخصُّصِه دُون عَناء.

وكان المؤلف قد كتب تفسير سورة (**الرعد**) على النهج نفسه الذي كتب بمقتضاه تقريباً تدبر سورة (الفرقان) باستثناء الملاحق، وذلك حينما

كان أستاذاً لمادة (دراسات أدبية من القرآن) في الكليات والمعاهد العلمية، التي صارت فيما بعد جامعة (الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، في سنتي ١٣٨٧ ـ ١٣٨٨هـ، وطبعها بعد ذلك بسنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

والمتأمل في ما قدّمه (الشيخ) من تدبر سورة (الفرقان) يجد أنه قد قدّم تدبّـراً فريداً رائداً مبتكراً!، لا نجدُ نظيرَهُ في كثير من كتب التفسير التراثيّـة والمعاصِرَة.

زاده الله فتحاً وتوفيقاً، ونفع المسلمين بعلمه.

* * *

(٣) كتاب: أمثال القرآن. وصُورٌ من أدَبِه الرفيع

سفرٌ من مُجلّد واحد تبلغ صفحاته (٥٥٠) صفحة، كان المؤلف قد طَبَع منه القسم الأول بعنوان (**الأمثال القرآنية**)، الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ثم أضاف إليه في الطبعة الثانية القسم الثاني، وهو: (**صور من أدب القرآن الرفيع**)، وسماه باسمه الأخير: (أمثال القرآن، وصور من أَدَبِه الرفيع) وأصدَرَهُ مجتمعاً في طبعته الثانية عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. وهكذا فالكتاب قسمان:

القسم الأول
(حول الأمثال القرآنية)

ويشتمل على دراسة متأنية علميّة للأمثال في القرآن المجيد في بابَيْن:

البابُ الأوّل

وفيه القواعِدُ العامّة للأمثال القرآنية، وهو منهج أخَذَ به (الشيخ) بغية استنباط القواعد التي يرتكز عليها أيّ عِلمٍ أو فنٍّ يتصدى لدراسته، وفيه أربعة فُصُول.

الفصل الأول: وفيه مقدّمات عامَّة تشتمل على تعريفات أساسيّة.

الفصل الثاني: استخرج فيه المؤلف أقسام الأمثال، ووضع لها (مشجّراً)، وعرض ثلاثة أنواع من التقسيمات، وملحقاتها.

الفصل الثالث: وقد خصَّصه لأغراضِ ضرب الأمثال، وهي ثمانية أغراض وضعَ لها جدولاً مفصلاً.

الفصل الرابع: وفيه استنباط لخَصائص الأمثال القرآنية، استنبطه استنباطاً مباشراً لم يُسبقْ إليه، وأتبعها بالأمثلة المشروحة، ووضع لها مشجراً جامعاً.

الباب الثاني
وفيه فَصْلان

الفصل الأول: قدَّم فيه المؤلف تطبيقات عامَّةً على الأمثال القرآنية، بشكل يكاد يكون فيه مستقرئاً لكل ما تنبّه إليه، من أمثال القرآن! التي كان رائداً في استنباطها، فكانت بمثابة (فرائد الجواهر).

الفصل الثاني: وفيه تطبيقات عامة على أمثال تكَرَّر في القرآن ورُودُها، حتى صارت بمثابة حقائق في مصطلحاته!، واستخرجها وصنّفها ضمن ثلاث مقولات:

المقولة الأولى: حول (الظُّلماتِ والنور).

المقولة الثانية: حول البصر والعمى، والغشاوة والصمم والوَقْر، والحياة والموت، ونحو ذلك...

المقولة الثالثة: حول البيع والشراء، والتجارة والربحِ والخسَارَة والقرض...

القسم الثاني
(صور من أدب القرآن الرفيع)

وهو يشتمل على عشرين صورة من أدب القرآن الرفيع، انتقاها (الشيخ) بحسِّهِ الفني الرّفيع، من سُورٍ متفرّقات..، وشرح كلاًّ منها شرحاً

أدبياً رفيع المستوى، بعيدَ الغور!، ممَّا حدَا بمعظم أساتذة الأدب الَّذين استمعوا إلى مقتطفاتٍ منها في بعضِ المحاضرات، من الأمسيات الأدبية، أو قرؤُوها في هذا الكتاب، أن يطالبوا المؤلف بمتابعة انتقاء صُورٍ أخرى من ذوات الدُّرَرِ!، لشرحها وفق هذا النمط المبتكر، فكرةً وأُسلُوباً!، بغية إثراء الأدبِ العربي بهذه الروائع البلاغيَّة والأدبية والفنّيّة المنتقاةِ من النُّصوص القُرآنيّة.

فجاء هذا الكتاب بجناحيه الفنّيّين المُحلِّقين، مَعِيناً يؤُمُّهُ الباحِثُون، سواءٌ في الدّراسات القرآنية، وتحليل النصوص، وفهم عميق معانيها، أم في اكتشاف ما في الأمثال القرآنية، من أدبٍ رفيعٍ، وتقريبٍ للمعاني المطلوبة، بأسلوب أدبي فَرِيد!!.



(٤) كتاب: نوح عليه السلام
وقومه في القرآن المجيد

كتاب من مجلد واحد، تبلُغُ صفحاته (٣٧٣) صفحة، صدر عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، قدم فيه مؤلفه نموذجاً لتكامل النُّصوص القرآنية الواردة حول قصّةٍ قرآنية واحدة، هي قصة نوح عليه السلام وقومه. . ، وَفقَ دراسةٍ مبتكرة في طريق التفسير الموضوعي! .

فقد جاء في القرآن الكريم ثمانية وعشرون نصّاً فيها ذكر نوح وقومه، جمعها المؤلف، وتدبّرها بحسب نزول سورها تدبّراً متأنّياً، ثم جزّأ الفكرات التي اشتملت عليها هذه النصوص ووضعها في جداول مبتكرة، للمقارنة بينها، فوجد أنَّها متكاملةٌ في دلالاتها، متشابكة غير مكررة!، باستثناء ما يلزم للرَّبطِ الذي يقتضيه تنزيلُ النُّصُوص في الموضوع الواحد، منجّمة في أوقات متباعدات، وموزعة في سورٍ من القرآن مختلفات، وباستثناء العظة والتربية التي قد توجّه في النصوص، لأنها بمثابة العلاج الدّوائي الذي ينبغي تكريره، وقت اللزوم.

وقد قدَّم (الشيخ) نظرةً جامعة بعد دراسته لهذه النصوص دراسة تدبّرية قال فيها:

«لقد رتبتُ هذه النصوص للدِّراسة على وَفْقِ ترتيب نزول السور، التي هي منها، رجاء أن يكون تدبّرها منسجماً مع أزمان نزولها، في عصر التنزيل. ومتنقلاً معها مرحلة فمرحلة، بحسب نجومها المكيّة فالمدنية، ومسايراً بها أحداث السيرة النبوية، ومقتضيات دعوة الرسول إلى دين الله

في العهدِ المكيّ ثم المدني، وناظراً في سوابق النصّ ولواحقه، من السور التي هو منها، وشرعت في تدبّرها، نصاً فنصّاً. مستهدياً بقاعدة التكامل فيما بينها، القاضية بمراجعة السوابق عند تدبّر اللواحق. للمقارنة والبحث عن الفروق التكاملية، والإضافات في عناصر الموضوع، والبحث أيضاً عن الدّواعي التي اقتضت إيراد النصّ بخُصوصِه، من سوابقه في السورة أو لواحقه، وكذلك الدواعي التي اقتضتْهُ، من واقع حال المخاطبين إبان نزول النص».

وإتماماً لهذا العمل المبتكر، فقد أكمل المؤلف قصة نوح في القرآن في آخر الكتاب ببعض الدرر من الأحاديث الشريفة التي ذُكر فيها نبيّ الله نوح عليه السلام، ليأخذ الموضوع استكماله ورونقه!.

ويرجو المؤلف أن تكون هذه الدراسة، بمثابة نموذج يحتذيه الدارسون من بعده لنصوص القصص القرآنية، عسى أن يكتشفوا ما اكتشفَهُ في قصّة نوح عليه السلام وقومه في القرآن.

ويرجو أيضاً أن يكون نموذجاً رائداً في طريق التفسير الموضوعي، الذي لم تتّضِحْ بعدُ معالمه وعناصره وشروطه بصورة تطبيقية.

وبصورة عامَّةٍ فإن هذا العمل يعتبر كمعظم أعمال (الشيخ)، عملاً مبتكراً، فكرة ومُعالجةً وأسلوباً.

نفع الله به المسلمين عامّةً، وطلابَ الدراسات القرآنية خاصَّةً، وجزى الله مؤلفهُ خيراً، وأجزل له أجراً.

* * *

(٥) كتاب: (معارج التفكُّر ودقائق التدبُّر)

تفسير تدبّري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول

وَفق منهج كتاب (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلّ)

يجتهد (الشيخ) متوكّلاً على الله، ومعتمداً على توفيقه وفتحه وتسدِيده ومعونته وهَدْيِهِ، متفرغاً لكتابة تفسير تدبُّريٍّ للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول، وفق منهج كتاب (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلّ)، وهو يشتمل على أربعين قاعدة، فتح الله عليه باستخراجها، خلال تدبُّرِه ومُلازَمتِه الطويلة للقرآن المجيد، وهذه القواعد تقدمُ للمتدبِّرين أصولَ التفسير الأقوم لكتاب الله عزَّ وجلّ.

ولكي نأخذ فكرة عن هذا العمل العظيم أرى من الأفضل أن نقتطِف بعض الفقرات من أقوال (الشيخ) نفسه صاحب الكتاب بشأنه.

يقول في المقدمة العامة لكتاب (معارج التفكّر، ودقائق التدبّر):

«وقد رأيت من الواجب عليّ أن أقدم ما أستطيع تقديمه من تدبّر لِسُوَرِ هذا الكتاب العزيز المعجز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مِن خَلْفِه، مُلتزماً على مقدار استطاعتي بمضمونِ القواعد التي فتح الله بها عليّ، مع الاعترافِ بأنّ التزامَها التزاماً دقيقاً وشاملاً عسيرٌ جدّاً. بل قد يكون بالنسبة إلى متدبّر واحد مُتعذِّراً».

ويقول أيضاً فيها بالنسبة إلى اختياره تدبر القرآن الكريم على وَفق ترتيب نزول سُوره:

«وقد رأيتُ بالتدبّر الميداني للسُّورِ أن ما ذَكرهُ المختصُّون بعلوم القرآن من ترتيب النزول، هو في مُعظَمِهِ حقٌّ، أخذاً من تسلسل البناء المعرفي التكاملي، وتسلسل التكامل التربوي، واكتشفت أموراً جليلةً تتعلّق بحركة البناء المعرفي لأُمُورِ الدين، وحركةِ المعالَجاتِ التربوية الربّانية الشاملةِ للرّسُول ﷺ. وللذين آمنوا به واتّبعوه، وللّذين لم يستجيبوا لدعوة الرسول متريّثين، أو مكذّبين كافرين».

ومع رجائه بأن يُعينه الله، ويُمدَّهُ بعُمْرٍ وفيضٍ من عطائه حتى يُتِمَّ تدبُّر كل سُور هذا الكتاب المجيد، قال مستدركاً في آخر المقدمة:

«وإذا لم تُسْعِف القُدرَاتُ أو لَمْ يُسعِفِ العُمُر باستكمال هذا التدبّر لكلّ القرآن المجيد، فإنّ مِنَ المفيد جدّاً، أنّ أُقَدِّم ما يفتح الله الوهّاب لي فيه، عسى أن يُتِمَّ العملَ، متدبّرونَ لاحِقُون، محتذين، أو مضيفين، أو معدّلين».

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّه حين كتابتي لهذا التعريف بهذا الكتاب الضخم العظيم، قد طبع منه حتى الآن ستة مجلدات، ويوجد قيد الطبع السابع والثامن علماً بأنّ كلّ مجلدٍ منها يزيد على (٧٠٠) صفحة، وهذه المجلدات قد تزيد قليلاً على ثلث المصحف الشريف.

أقول: وقد وجه (الشيخ) أمدَّ الله في عمره لإنجاز هذا العمل الجبار؛ عنايةً عظمى في تدبّره هذا لاكتشاف وحدة موضوع السورة القرآنية، وبيان ارتباط كل آياتها بهذا الموضوع.

ووجّه عناية أخرى لجمع الآيات التي تدور في فَلَك موضوع واحد من القرآن كلّه، ودراستها دراسةً تكاملية، وفرزها في ملاحق لتدبّر السّور.

ووجه عناية ثالثة لاستخراج البلاغيات من السور التي درسها دراسة

تدبّريـة، ونبّه عليها في أثنـاء تدبّر السُّـورة، وقد يفرزها في ملحق من ملحقاتها.

ووجه عنايـة رابعة لتقسيم السـورة القرآنية إلى دروس متماسـكة الوحدات، ضمن وحدة موضوع السُّورة العام.

ولم يكتفِ في معاني المفردات القرآنيـة بنقل ما ذكره المفسرون فيها، بل رجع ينقّب في أُمَّهات المعاجم العربية تنقيباً دقيقاً. . ، ليختار من معاني المفردات ما هو الملائم، أو الأكثر ملاءمة للسّباق والسياق، ولمبدأ التكامل بين النصوص، وللحقائق العلمية التي غدت ثابتة بيقين.

ووجّه عنايةً خامسةً للقراءات القرآنية، كاشفاً عما فيها من تكامُلٍ فكريّ، وتكامُلٍ في الأداء البيانيّ، وما فيها من تنويع في الأداء الفنيِّ الجمالي، وإثباتِ وجوهٍ عربيّةٍ متكافئة فيما قسّمه علماء العربيّة - حين أرادوا ضبط هذه اللغة - إلى علوم اللغة والنحو والتصريف والبلاغة.

إلى غير ذلك من أمور كثيرة مهمّة يجدها قارئ هذا التدبّر بإمعان لكتاب الله الخالقِ الديَّان.

نفع الله به المسلمين، وزادهم بكتابِه تمسّكاً وتدبُّراً وعملاً بصدْقٍ وإخلاص.

* * *

ثالثاً

في سلسلة أعداء الإسلام

(١) كتاب: (مكايد يهودية عبر التاريخ)

أولُ كتاب في (سلسلة أعداء الإسلام)، وقد صدرت طبعته الأولى في عام ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، وهو كتابٌ من مجلد واحد تبلغ صفحاته (٤٦٦) صفحة.

أبان فيه المؤلف خطر الغزو الفكري الذي يتزعمه اليهود في العالم سرّاً، أو علناً حينما تدعو الحاجة، ومُشكلةُ اليهود النفسيّة، وميل اليهود إلى الانحراف منذ تاريخهم الأوّلِ، وأنهم قتَلَةُ الأنبياءِ ومحاربوهم. وأَبَانَ عقوبة الله لهم، وتحريفهم لأصولِ الدّيانة اليهودية.

وأبان مكايدهم ضد الإسلام والمسلمين في عصر الرسول ﷺ، التي بلغت إحدى عشرة مكيدة، مع كشف العظات والعبر المستفادة من مكايدهم في هذه الحقبة.

وأبان أيضاً مكايدهُم ضِدَّ الإسلام والمسلمين بعد عصر النبوة، وحتى عصرنا الحاضر (نهاية القرن العشرين الميلادي) بدءاً بعصر الصحابة، ومن ثمَّ ظهور الباطنيـة ـ صنيعة اليهود ـ وبيان شرورها في الكيد ضد الإسلام والمسلمين، بدعوى أنهم من المسلمين، ومكايدهم في استخدام النّساءِ، وتأسيس الجمعيّات السّرّية كالماسونية، وتدبيرهم للثوراتِ في العالم،

وتسلُّلهم إلى المواقع الاقتصادية في أمريكة وفي العالم، واللّوبي اليهودي، وأثَـرهُ في أمريكـة، والصهيونية ودورهـا في إقامـة الدولة اليهوديـة في فلسطين، وتقويضهم للخلافـة العثمانية، وللقيصريـة الروسـية، وإقامة النظام الشيوعيّ بدعمٍ من الماسونيّةِ، وإقامة حربيْن عالميتيْن.

وغيـر ذلك من مخططات ومكايـد حقَّقُوها خلال سـبعين عاماً، وكانوا قد خططوا لها ضمن مخططاتهم السّرّية، ومن ذلك نشرهم الإلحاد في العالم، ووقوفُهم لدفع عجلة الغزو الفكري، ودعم وسائله، وسيطرتهم على وسـائل الإعلام في العالم، وإفسـادهم للثقافـات العامّـة والفـنّ، وإقامتهم لدور الدعارة. . ، وإفسَادُهم للعلاقات الاجتماعية والسّياسيّة، وإقامتهم للمكياڤلية اليهودية، والجاسوسية اليهودية، وتلاعبهم بالأنظمة والقوانين والدساتير في كثير من دول العالم. ومكايدهم للسيطرة على المال والاقتصاد في العالم لإحكام الطوقِ حَولَهُ. . ، وهكذا فقد كانت مكايدهم الخطيرة ضد كل شعوب الأرض وحكوماتهم للسيطرة على كل القوى في العالم الماديّة، المعنويّة.

ـ ويتميز الكتاب بأن أورد المؤلف فيه وثائق خطيرة من أقوال اليهود قبل عشرات السنين، وقد جرى تنفيذ بعضها، ولايزال يجري تنفيذ البعض الآخر بالتتابع، وحسب المناخات الملائمات في عالمنا المعاصر. . ، وهذه الأقوال تكشف مخططاتهم الجهنميّة ضدّ كُلِّ شعوب الأرض. . ، التي يهدفون منها إلى حكم العالم كله بسلطان مباشر من قِبَل قادتِهم من الملوك المستورين من ذرية سليمان لإقامة (مملكة داود) حسبما يزعمون. وقد أبان الواقع تحقيق بعض ما نشر في هذا الكتاب. . . مثل القضاء على الخلافة العثمانية، والقيصريّة الرّوسيّة، وإقامة الحربيْن العالميتيْن، وإقامة النظام الشيوعي. . .

وقد كان لهذا الكتاب تأثير كبير في تصحيح تَصَورات الذين كانوا

لا يعبؤون بمكايد اليهود، لقلة أعدادهم في العالم!!.

وقد طبع طبعات متعددات، وترجم لأهميته إلى اللغة التركية، باعتباره أحد أمهات الكتب التي تكشف تاريخ اليهود الأسْود، وتنبه على مدى خطورته، وكيفيّة الوقاية من مخططاتهم.

ومما يزيد في قيمة هذا الكتاب أن مؤلفه قد أدرك بثاقب نظره خطر الوباء اليهودي المدمر في العالم. فنبّه عليه وكشفه للناس!!، وذلك منذ حوالي ثلث قرن في أحاديثه الإذاعية في عدة إذاعات عربية، تحت اسم برنامج (أعداء الإسلام) لتنبيه الغافلين، وكشف ما يحاك ضد المسلمين. وكان لهذه الأحاديث ملايين المستمعين في حينها..، وقد طالب الغيورون بنشرِها، لتنوير الشعوب، وتنبيه الأجيال الناشئة المفتونة بهذه الدسائس والمكايد. فعكَفَ على تنسيقها وتنقيحها وتبويبها..، وجعل ما يخص اليهود منها في هذا السفر الذي ظهر في الوقت الذي كان فيه الكثيرون، إما في جهلٍ لما يحيكه اليهود ضد العالم عامّةً والمسلمين خاصة، أو أنهم يهوّنُونَ من خُطُورَةِ دورِ اليهود ومكايدهم، شأنهم في ذلك شأن من يستهين بالمكروبات والفيروسَات لصغر حجمها، واستحالة رؤيتها بالعين المجردة..، مما يتيح لها تدمير مَنِ استعمرت جَسَده.

- (والشيخ) إذ يكشف ذلك كلَّه فهو يهدف إلى اتخاذ الأسباب المأمورين باتخاذها حيال مكايدهم. في الوقت الذي يَعمُرُ قلبَه الإيمان والثّقة بعدل الله تعالى، بأنه سيلاحق اليهود المغضوب عليهم، ويردُّ مكايدهم إلى نحورهم، ويُحقّق نُبُوءة الرسول ﷺ بهم، وما جاء في كتابه المجيد بشأنهم، والله من ورائهم محيط.

﴿... وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

* * *

(٢) كتاب: صراع مع الملاحدة حتى العظم

سفر من مجلد واحد تبلغ صفحاته نحو (٥٠٠) صفحة، وهو ثاني أحد كتب سلسلةِ (أعداء الإسلام). وفيه أقامَ المؤلف الحجج البرهانية العقليّة والعِلميّة لإبطال أقوال الملحدين عامة، وأقوال (د. صادق جلال العظم)، خاصة في كتابه (نقد الفكر الديني). أبان فيه المؤلف بالتّتبُّع لمقولات (د. صادق جلال العظم) ما فيها من تناقضات، وتهافُتاتٍ، وسقوط فكري فاضح. . ، حتى لم يستطع هذا (العظم)، ولا أحد من الملاحدة المناصرين له طوالَ رُبعِ قرنٍ من ظُهور كتاب (صراع مع الملاحدة حتى العظم) أن يكتب فِي الدفاع أو الردّ ولو مقالةً واحدة، وينشُرها في كتاب أو في دَوْريَّةٍ من الدوريّات الصحفية. وكانت طبعته الأولى عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

وقد قسم المؤلف الكتاب إلى أحد عشر فصلاً، ضمّن فيها قضايا مهمّة لكل مَنْ ينشُد حقيقة العلم والدّين، وبيَّنَ فيه كيف يمكن نسفُ قواعد الملحدين وأضاليلهم من جذورها بالعلم الصحيح والحجَّةِ القوية، مع الاطلاع الواسع على الثقافة الإسلامية وغيرها من العلوم والأفكار الصَّحيحة التي تنشدُ الحق ولا شيء إلا الحق!.

ـ وأهم ما جاء في **الفصل الأول**: الذي أسماه مقدّمات: أنَّ المؤلف قد وجد أن الجدليات التي اعتمد عليها د. العظم، هو وأمثاله من أساطين الإلحاد؛ تعتمد على مغالطات تدور حول إحدى عشرة مغالطة تتنافى مع البحث العلمي الصحيح والمنطق السليم.

ـ **وفي الفصل الثاني**: وعنوانه الحقيقة بين الدين والعلم، وأهم ما جاء فيه، قوله: إن كلَّ مظهرٍ للتناقض بين ما تشهد به الوسائل الإنسانية للمعرفة (أي العلم) وما تشهد به النصوص الدينية يرجع إلى أحد احتمالات ثلاث:

١) إما أن يكون ما نُسِبَ إلى العلم لم يصل إلى مرحلة العلم المقطوع به، كالنظريات العلمية التي لم تتأكد بعد.

٢) وإما أن يكون ما نُسب إلى الدين لم يصل إلى درجة القطع في نقلِ النّصِّ الذي تضمّنه.

٣) وإمّا أن يكون الفهم الذي فهم به النص الديني فهماً خاطئاً!.

ـ **وفي الفصل الثالث**: تناول النقد الذاتي حول مفاهيم المسلمين للإسلام، ووقوع بعضهم بإلصاق مفاهيم خاطئة وشوائب بالإسلام ليست منه، مع جهلهم بتعاليم الإسلام الحقيقية، الأمر الذي أساء إلى الإسلام وجعل أعداءَهُ يبسُطُون إليهِ أيديهم وألسنتهم بالسوء. فأبانَ أسباب ذلك وعلاجَهُ.

ـ **الفصل الرابع**: وعنوانه (مقدمة صراع) يكشف أنّ هذا الإلحاد المعاصر يرتبط بحركة يهودية عالمية أرادت نشر الإلحاد في الأرض، فتسترّت بالعلمانية، فبثّتْ نظريّاتٍ من عندها، صُنِعتْ خِصّيصَىٰ لدعم الإلحاد، دسُّوهَا ضمن العلوم الإنسانية، ممّا يُوضّح أن قضية الإلحاد بالله المعاصرة، قضية سياسية عالمية، تخدم فئات معيّنة وأجراءهم من ذراري المسلمين.

ـ **الفصل الخامس**: صراع من أجل قضية الإيمان بالله والفكر الديني الصحيح حولها.

- **الفصل السادس**: صراع من أجل قضية الإيمان باليوم الآخر، التي أنكرها د. العظم!!.

- **الفصل السابع**: مع (برتراند رسل) الملحد، و(فْرويْد) اليهودي إمامَي العظم!!.

- **الفصل الثامن**: صِراع لنفي فرية النزاع بين الإسلام والعلم، قياساً على ما حصَل في أوروبة، وهو تتمة وإيضاح لما جاء في الفصل الثاني.

- **الفصل التاسع**: يبين كيف أن التطورات العلمية المتأخرة هي التي تتراجع في اتّجاه المفاهيم الدّينية، وليس العكس، كما ادّعى العظم في الفصول السابقة.

- **الفصل العاشر**: صراع حول ما أسماه العظم (مأساة إبليس)، إذ يعتبر أنّ قصة إبليس وسائر قصص القرآن قصصٌ خياليّة، من الأساطير الدينية، إمعاناً في إلحادِهِ وكفره!.

- **الفصل الحادي عشر**: عقد فيه (الشيخ) فصلاً عن الكفر والكافرين، مقتبساً من القرآن الكريم، ومؤيداً بالنصوص المشروحة فيه شرحاً تدبّرياً.

وأختم تعريفي بهذا الكتاب بتعليقة (الشيخ) في المقدمات لهذا الكتاب يقول فيها:

«لولا واجب حماية المسلمين من تضليلات المضلّين، حتى السخفاء والتافهين!! لما كان كلام (د. العظم) يستحق النظر فيه، ولا الالتفات إليه!».

وأنا أضيف إلى هذا الكلام: أنه ينبغي التصدّي لأمثال هؤلاء

الملاحدة والردّ عليهم، مخافة أن تُضَلِّل افتـراءاتهم أفكار ومفهومـات أجيالنا الإسلامية . . !، لذا فإني أنصح كافة شبابنا الإسلاميّ ذكوراً وإناثاً أن يتزوّدُوا بالثقافة الإسلامية عن دينهم مُعتقَداً وعملاً، ومن ثمّ أنْ يطَّلِعُوا على ما كتب في الـردّ على أعداء الإسلام والمسـلمين مثل هذا الكتاب الذي بين أيدينا، ليجد كلُّ واحدٍ منهم نفسه وقد أصبح منافحاً مدافعاً عن دينه وكِيانه وكيان أمّته.

* * *

(٣) كتاب: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها

(التبشير ـ الاستشراق ـ الاستعمار)

تزامن صدور هذا الكتاب مع بدء وعي الأمة الإسلامية لما يحاك ضدّها من مؤامرات تجاوزت الغزو المادي المسلح إلى غزو معنويٍ خطيرٍ جداً، يتسلل إلى النفوس ليستعمرها استعماراً فكرياً سلوكياً، ويخربها من جذورها، لكي تصبح ألعوبة في أيدي أعدائها!!، الأمر الذي حَدَا (بالشيخ) لينبري لتعرية هذا الغزو، وبيان خطورته، بتعريفه، وبيان أهدافه، وجنوده، ووسائله..، مع التركيز على كيفية هجوم أعداء الإسلام وتفنيد دعاواهم في إثارة الشبهات حول الإسلام، وزعزعة ثوابته!. ولأهميَّةِ هذه الأمور وخطورتها فقد عمد (الشيخ) إلى الكتابة عنها وإذاعتها من إذاعات عربية مختلفة لمدة عامين متتاليين:

من عام ١٣٨٨ ـ ١٣٨٩هـ، الموافق ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩م، أي منذ ثلث قرن من تاريخ هذا الكتاب الفخم.

ونظراً لخطورة هذا الأمر الحيوي واستجابة لطلب الكثيرين بإصدارها في كتابٍ لتبصير الغافلين بمواضيع هذا الكتاب. فقد عمد (الشيخ) إلى تنسيق وتبويب مادة هذا الكتاب، مع الإضافة إليها، والتنقيح والزيادة في كل طبعة لتكون مرجعاً للتعريف بالغزو الفكري عامة، وتفصيل كلّ جانب من جوانبه خاصة.

وكان تاريخ الإصدار الأول لهذا الكتاب عام ١٣٩٥هـ الموافق عام

١٩٧٥م، وكـان له تأثيـر جليّ لدى كثيـر من القراء المهتمّين بالقضايـا الإسـلامية، ومعرفة أعداء الإسـلام والمسـلمين مما حَدَا بالمؤلف إلى تجديـد النظر إليه في كل طبعـة جديدة، بإضافة ما اسـتجد من أمور حتى أصبحت طبعتُهُ الأخيرة حوالي (٨٠٠) صفحة، بينما كانت طبعته الأولى (٧٠٠) صفحة.

وهو سـفر واحد من أحـد كتب (سلسـلة أعداء الإسـلام)، يتناول أسـاليب ووسـائل ومخططات الغزو الفكري الذي يقوم بـه (المبشّـرون بالنصرانيـة والمستشـرقون والمسـتعمرون)، ومن ورائهم جميعاً المكر اليهودي. وهذا الثـالوث الشـيطاني من أعداء الإسـلام هو أحد جنود الغزو الفكري ومن أشـرسهم، وقد رتّبت أبوابـه بصورة منهجية، تعتمد على جمع الأشـباه والنظائر في مقولات متميّزات، وعلى ترتيب البحوث ضمن نظام شجري متفرّع من الجذور إلى السوق فالفروع فالأفْنَـان والأوراق والثمار النكِدة، جرياً على أسلوب المؤلف المنطقي في تأليفه في الغالب. وهو يعتمد على التحليل واستخراج المنهج العام الذي يتّبعه الغزاة في كل ما يقومون به من تفصيلات وجزئيات، في كل مجالات الحياة، مع إيراد نظرات تاريخية وشواهد من الواقع. وقد قسَّم المؤلف الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وفيه مقدّمات عامَّة، تحدث فيها عن الحروب الصليبية وعواملها، ويقظة المسلمين على أثرها، وفشلها، وتحول الصليبيين إلى مخطط جديـد للغزو الفكري، مع ما يُلجـأ إليه من غـزو مسـلح، حينما يصطنعون الأحداث ليقوموا به.

ثم تناول بالبحث (الغزو الفكري) إذ عرّفه، مبيّناً خطره، موضّحاً تـاريخ ظاهرة الغزو الفكري، بعَرْضِ صور من حملات الغـزو الفكري

التبشيري والاستعماري، المرافق للوجود المسيحي الاستعماري في الخليج العربي ومصر. كما بيَّن المهمات الرئيسة لأعداء الإسلام من ورَاءِ هذا الغزو غير المسلح، والمنهج الذي اتّبعوهُ، ووسائله، وعرَّف أجنحة المكر الثلاثة: (التبشير والاستشراق والاستعمار). مع تفنيد عمل المؤازرين من الداخل لهذا الغزو.

ثم كشف القناع عن وسائل الغزو غير المسلح وهي اثنتا عشرة وسيلة، وألحق بها وسيلةً جديدة من وسائل الغزو الجديد، وهي وسيلة التفريغ والملء التدريجيّين . . ، وكيف خطط العدو لغزو الإسلام، بتفريغه من مضامينه في مفهوماته وبعض أحكامه. والتلاعب بعبارات كالتقدّمية والرجعية والتمدّن والتخلف ونحوها . . ، وأبان أعمال الغزاة في هدم وحدة المسلمين وتقليل أعدادهم بوسائل ومكايد شتّى. وكشف خطورة الغزو بفكرة القومية بديلاً عن الإسلام! ، وبين مؤامراتهم ضِدَّ اللغة العربية، وأعمالهم ووسائلهم في الإفساد الخلقي والسلوكي، وكيفية غزوهم للمسلمين بالمذاهب الاقتصادية. وفي نهاية هذا الفصل أوضح ما تعانيه الحركات والمؤسسات الإسلامية من قبل الغزاة!!.

القسم الثاني: وقد فصّل فيه الغزو بالهجوم المباشر على الإسلام عن طريق إثارة الشبهات على شرائِعه، وفيه مقدمة وسبعة فصول، تناولت شبهات حول المثالية والواقعية، والروحية والمادية في الإسلام، وشبهات حول بعض العبادات في الإسلام والزكاة، والعقوبات في الإسلام. وشبهات حول الرق، وحول حقوق المرأة . .

القسم الثالث: قدم فيه المؤلف في الفصل الأول نظرات عامة حول دوافع الغزو المسلح في الناس، فهي إما إصلاحية ربّانية، وإما عدوانية تسلّطية ذات مطامع إنسانية، ثم تحدث في النوع الأول عن الجهاد

المقدس، أهدافه والدعوة إليه، ووسائله وشروطه، والروح المعنوية لدى حملة رسالة الجهاد المقدس. وفي الغزو العدوانيّ أوضح دوافعه وبواعثه، ثم بين تآزُر الغزاة لتحقيق أهدافهم المشتركة ضد المسلمين.

وفي الفصل الثاني، قدم خلاصةً وتوجيهات، وتحذيراً للمسلمين، أوضح فيه العناصر التي غزانا فيها الأعداء، ومعظمها تدور حول إثارة الشبهات، وتشويه المفاهيم الإسلامية، وتجهيل المسلمين بإسلامهم، مع تشويه واقع تاريخ المسلمين، وإقامة حجب وعقبات بين أبناء المسلمين والعلوم المادية البحتة، والعلوم التكنولوجية، وقبضهم على حركة التعليم العالمية ووثائق المعرفة، الأمر الذي حقّق للغزاة نتائج خطيرة.

وفي النهاية قدم (الشيخ) **خطة عمل** تبيّن خطوات العودة الحميدة، وهي تعتمد على إحدى عشرة خطوة:

الأولى: تعتمد على عنصر الثقافة الإسلامية الواعية، وتأسيس الجمهور الملتزم بالإسلام عقيدة وعملاً.

الثانية: تتناول منهاج العمل.

الثالثة: تتضمن وضع ميثاق إسلامي عام ومنهاج تثقيفي عام.

الرابعة: تعتمد على إعداد المصنّفات الإسلامية الحديثة.

الخامسة: تتضمن إعداد جيل من المثقّفين ثقافة إسلامية راقية واعية شاملة ملتزمة متّزنة.

السادسة: تلح على التوعية الإسلامية العامة القائمة على التربية الحكيمة، والأخلاق الإسلامية.

السابعة: الدعوة إلى تبريد الخلافات المذهبية بين أهل السنة والجماعة، وتقريب وجهات النظر.

الثامنة: العمل على فضح دسائس أعداء الإسلام الفكرية والعملية مع إبراز الصورة الإسلامية المشرقة بكافة الوسائل.

التاسعة: استغلال مختلف المشاعر الإنسانية لإيقاف المسلمين موقف الحذر في مواجهة كل غزو فكري يمسّهم.

العاشرة: تجنب أي صراع مباشر مع أية حركة إسلامية، لعدم تبديد طاقات المسلمين وترك الفرص لأعدائهم.

الحادية عشرة: توجيه قدر كبير من طاقات العمل إلى بلاد الغزاة لنشر الإسلام الصحيح فيها.

ـ وفي الختام يؤكد (الشيخ) أن هذا السفر قد حوى ما حوى من مكايد الأعداء التي لا تنتهي، وقد نَبَّه على معظمها بطريقة تحليلية لاستخلاص العظة والاحتراس من المكايد ومواجهتها، شريطة أن يصدُق المسلمون في ذلك كله إيماناً وعملاً وجهاداً، لتحقيق النَّصر الذي وعدهم الله به.

ولأهميَّةِ هذا الكتاب فقد طبع طبعات متعددات لإقبال القراء عليه. كما صار كتاباً مقرراً لمادة الغزو الفكري في عدد من الجامعات، إذ لم يكتب حتى الآن ما يزاحمه أو يكون بديلاً عنه.

* * *

(٤) كتاب: الكيد الأحمر

وهو كتاب يتضمن دراسة واعية للشيوعية وجذورها وأفكارها وخرافة حتميّاتها وأحلام وعودها الكاذبة، وواقع تدميرها الثوري الحقود الحسود، وجحيم تطبيقاتها.

وهو أحد كتب (سلسلة أعداء الإسلام) من مجلد واحد، تبلغ صفحاته (٤٠٠) صفحة، والكتاب يشتمل على ستة فصول، وكان إصداره الأول في عام ١٣٩٩هـ الموافق ١٩٧٩م.

الفصل الأول: تناول فيه المؤلف تعريفات وتقويماً عاماً، وتحليلات لما يلي:

ماهيّة الشيوعية ـ المنهج العملي لوصول الشيوعيين إلى أهدافهم ـ عوامل الاستبداد المطلق للحكم الشيوعي ـ استحالة تحقيق الأهداف السامية بالاستبداد أو بالوسائل الهمجية ـ الردّة عن العقيدة الشيوعية أو التشكيك فيها ـ جزاء المرتد عنها عندهم أشد العقوبات.

الوصول إلى السُّلطة والاستئثار بالحكم هو الهدف الضمني لزعمائها ـ الأمميّة في العقيدة الشيوعية والقومية والنزعات الاستعمارية لديهم ـ بطلان النظرية الشيوعية من أساسها ـ أسباب تماسك الحزب الشيوعي وبقائه دون أن يكون عرضة للانهيار السريع.

ـ التفسير النفسي للحركة الشيوعية ـ الشيوعية والقيم ـ الماركسية والصراع الطبقي القائم على الحسد والحقد.

الفصل الثاني: جذور الحركة الشيوعية، وقصة نشأتها، وقيام أنظمتها، ودور اليهود فيها. والأحزاب الشيوعية العربية وخياناتها، ودور اليهود في تأسيسها وتوجيه أعمالها ـ الشيوعيون في العالم وارتباطاتهم.

الفصل الثالث: الشيوعيون والقضايا العربية والإسلامية والمؤثرات اليهودية، واستمرار رعاية اليهودية العالمية للشيوعية والاشتراكيات ـ ومخادعة الشيوعيين للعرب وللمسلمين للتلاعب بهم تحت مسمى (عدو عدوك صديقك)، وخيبة حركاتهم ومساعيهم.

الفصل الرابع: ما بين الشعارات والتطبيق، وكذب كل شعارات الشيوعيين ـ التعصب الأعمى لمذهبهم، وخَنْق الفكر الإنساني وإماتة روح الإبداع الفكري ـ النظام الشيوعي، ونظامهم الاقتصادي المرير.

الفصل الخامس: أعمال الإرهاب والقمع والقتل والتعذيب لدى الشيوعيين، ونكبات المسلمين على أيدي الشيوعيين، وتفصيلات تاريخية عن الإرهاب الشيوعي الكبير المذهل وجذوره، ولا سيما الإرهاب الستاليني الوحْشي، مع نبذة عن معسكرات العمل الإجباري.

الفصل السادس: حول مبادئ الماركسية المادية ـ وبيان خطة واضعي المذاهب الضالة الهدامة، ومنهج الباحث المسلم تجاهها ـ واشتمل أيضاً على سقوط خرافة الجدلية (الديالكتيك) الماركسية.

ومن المستحسن أن نذكر بإيجاز ما جاء في خاتمة (الشيخ) حول هذا الكتاب، تلك الخاتمة التي تتناول الأحكام والاستنتاجات التي توصّل إليها، وأراد توعية المسلمين والعالم من خلالها وهي كالتالي:

١ ـ أن كل من يجند نفسه في حزب شيوعي وهو يعلم مبادئ الشيوعية العقديّة، فحكمه أنه انسلخ من إيمانه بالله ومن دينه، وارتدَّ ملحداً كافراً بكل

القيم، إلا أوهام مبادئ الشيوعية.

٢ ـ أن كلّ من يجنّد نفسه في حزب شيوعي وهو يعلم ارتباطه باليهودية، وهو يعلم أهدافها، فقد انسلخ من وطنيّتِهِ وقوميّتهِ، وأصبح مستعبداً لليهود مقابل شهوات عابرات.

٣ ـ أن كل مَنْ يُوالي الشيوعيين، وهو يعلم الحقائق السابقة عنهم فهو منهم.

٤ ـ إن دراسة سنن الله في كونه تسمح بالتأكيد على أن الشيوعية في دور هبوطها وانْحِسارها عالمياً، بعد أن سقطت تجربتها واقعياً، كما سقطت أفكارها ومبادئها فكرياً، ولم يُبْقِ عليها إلا أثقال قوى دولية، والّتي لولاها لسقط المذهب الشيوعي كلُّه. وهنا في هذه النقطة بالذات يثير عَجَبَنا بُعْدُ نظر (الشيخ)، ومصداقية تحليله للأمور، وتنبّؤه بسقوط الشيوعية، ذلك السقوط الذي حدث فعلاً بعد حوالي عشرة أعوام من صدور هذا الكتاب، سواء في شرق أوروبة، أم في روسية معقل الشيوعيين الأم.

٥ ـ يستنتج المؤلف أنه لو قامت حرب عالمية ثالثة التي يخطط لها اليهود، فإن الشيوعية ستصبح قصة سلفت في التاريخ، ويظهر للعالم أنها لم تكن إلا مرحلةً من المراحل التي أعدّها اليهود لإقامة دولتهم العالمية الكبرى، وتفرّدهم بحكم العالم.

٦ ـ يتنبأ المؤلف بأن صحوة عالمية ستظهر، وستنزل باليهود ما يستحقونه من جراء إفسادهم، وبذلك يتحقق إنذار الله الدائم لهم.

٧ ـ إنّ الدلائل الدينية في الإسلام تدل على أن سحق مكايد اليهود العالمية ستكون على أيدي المسلمين المؤمنين حقّاً بالله، وقد يكون بمساعدة أحرار الشعوب ومنصفي الأمم الّتي صحت من غفوتها،

وأدركت أن الخطر الحقيقي هم اليهود.

٨ ـ يود المؤلف أن تعلم الدول الكبرى أنه لا خطر عليها من الإسلام، كما يوحي لهم اليهود، ليصرفُوا الأنظار عن مكايدهم، لأن الإسلام دين واضح ظاهر ينشر السلام والمحبة، وليس أتباعه كاليهود لهم ظاهر معانق وباطن مفارق، وكذلك يودّ أن يعلمَ النصارى أن اليهود أعداؤهم الحقيقيون منذ فجر الديانة المسيحية وإلى الوقت الحاضر، وأنّ تاريخهم مع المسلمين قد قام على العدل والحق وإقامة الإنسانية المثلى.

٩ ـ إنه يتكلم باسم المسلمين داعياً شعوب العالم إلى خطة واضحة عادلة؛ لا عدوان ولا ظلم فيها، كما يدعوهم إلى اليقظة الحقيقية، وكشف الغشاوة عن أعينهم، ليعرفوا من يدبِّر لهم المكايد، ويمكر بهم، ويمسك بمقدراتهم.

وقد نال هذا الكتاب استحسان القرّاء والمثقّفين، وكشف الغطاء عن عيون المخدوعين.

هذا وقد كان المؤلف فيه ناقلاً ومصنّفاً أميناً متقناً للجوانب التاريخية، أما الجوانب الفكرية فقد عالجها بالمنطقية والعقلانية التي امتازت بها كتاباته المختلفة، كلما تناول قضايا فكرية تحتاج إلى تحليلات عقلية وعلميّة، بعيدة عن الانفعالات والسفسطة والغوغائية.

* * *

(٥) كتاب: غزو في الصميم

دراسة واعية للغزو الفكري والنفسي والخلقي والسلوكي في مجالات التعليم المنهجي والتثقيف العام

هو أحد كتب (سلسلة أعداء الإسلام) فيه دراسة واعية للغزو الفكري والنفسي والخلقي والسلوكي في مجالات (التعليم المنهجي) و(التثقيف العام)، ونظرة عامة إلى التعليم في العالم، مع توجيهات وتوصيات خاصة وعامة. وهو كتاب من مجلد واحد تبلغ صفحاته (٣٣٠) صفحة، بما فيها توصيات المؤتمر الأول للتعليم الإسلامي، وكانت طبعته الأولى سنة: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. ويشتمل على أربعة أبواب:

الباب الأول

تناول بيان الغزو الفكري في التعليم المنهجي، الذي اكتشف (الشيخ) أنه ينقسم إلى تسعة أركان هي: «السياسة التعليمية ـ الخطة الدراسية ـ المنهاج ـ الكتاب ـ المدرس ـ البيئة التعليمية ـ نظام التعليم والتقويم ـ الأنشطة المرافقة ـ الإدارة والتوجيه».

وعقد لكل ركن من هذه الأركان التسعة فصلاً شرح فيه ما يتعلق بهذا الركن، ومدى أهميته، وأبان جوانب الغزو الفكري من خلاله والصور والأساليب التي يدُسُّ فيها الغزاة عناصر الغزو التي يرمون إليها ضمن التعليم المنهجي!. وهذا التصنيف إلى أركان تسعة مع كشف ما يمكن أن

يُـدَسَّ من خلاله من غزو فكري لم يُسْبَق إليْه (الشيخ)، وقد توصل إليه من خلال تحليله للأمور وبُعْدِ نظره!.

الباب الثاني

تناول بيان التثقيف العام الذي يكون في كل موقع باستثناء التعليم المنهجي، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تنـاول تعريفات عامـة للتثقيف العام، والتوجيـه المباشر وغير المباشر، والوسائل التعليمية والتثقيفية، وأركان اكتساب المعرفة في حركتها.

الفصل الثاني: شرح فيه عقبات النفوس الصادة للتوجيه، ووسائل تخطّيها أو تفاديها.

الفصل الثالث: شرح فيه التوجيه غير المباشـر وأثره في النـاس، وشرحَ فيه وسائله وصُورَه، وكيف استغلّه شياطين الإنس لنشر ضلالاتهم بصورة تتقبلها النفوس بطواعيةٍ ودون إكراه!!، وما يجب على حَمَلَةِ الرسالة الإسلامية أن يتخذوهُ حِيَالَها.

الباب الثالث

تناول نظرات حول الواقع وما ينبغي أن يكون، وعقد فيه المؤلف أربعة فصول، أبانَ فيها الواقع وما فيه من أخطاء، والصورة المثلى التي ينبغي أن يكون عليها التعليم في العالم الإسلامي.

ففي **الفصل الأول:** بين أنواع التعليم في العالم حسب عقائد الأمم وفلسفاتهم في الحياة، وتنقسم إلى:

التعليم الإسلامي الذي ينبغي أن يكون في هذا العصر ـ التعليم الصليبي التبشيري ـ التعليم العلماني (اللاّدِيني) ـ التعلم الإلحادي ـ التعليم المختلط وآثاره ـ التعليم التقليدي في العالم الإسلامي وما له وما عليه.

وفي الفصل الثاني: يبين المؤلف كيف تمّت مكيدة التحويل عن الإسلام في مجال التعليم وَفْق خطة التفريغ والملء التدريجيّة، مبيّناً عناصر التفريغ الثلاثة، ووسائله السّت، وما يتلو ذلك من ملء ما أفرغوه في نفوس ذراري المسلمين!!، ومن ثَمَّ استخدامهم بعد إفسادهم جيشاً معادياً لأمّتهم ودينهم.

وفي الفصل الثالث: تناول المنهج التعليمي الأمثل لذراري المسلمين مبيّناً خطوطه العريضة ووسائله.

وفي الفصل الرابع: خصّصه المؤلف لذكر توصيات (المؤتمر الأول للتعليم الإسلامي)، الذي انعقد في مكّة المكرّمة في شهر ربيع الثاني من سنة ١٣٩٧هـ، والذي كان (الشيخ) أحد أعضائه.

الباب الرابع

وفيه تعليمات مقتبسة من كتاب (التعليم في الاتحاد السوفيتي)، تأليف (جورج كاوِتِسْ)، ترجمة محمد بدران، يبين فيها كيف اتخذ الاتحاد السوفيتي التعليم وسيلةً لنشر وتأصيل (العقيدة الشيوعية)، ومحاربة كل ما عداها!، في الوقت الذي يخادعون فيه المنتسبين إلى الإسلام من ذراري المسلمين، بأن العلم ينبغي أن يكون بعيداً عن مؤثرات عقيدة الأمة!، مع أن واقع أحوال كل الأمم أن عقائد الأمم وقِيمهم هي الموجهة لعلومهم وثقافاتهم التربوية.

ـ هذا وقد شـهد أساتذة التربيـة أنهم لـم يجدوا فيما كُتـب في علم التربية تفصيلاً مصنّفاً إلى أركان وتقسيمات وتحليلات وتوصيات، كما وجدوا في هذا الكتاب، الذي قام على التحليل والتقسيم المنطقي الدقيق في نظام شجري متكامل!!، مرفقاً ذلك بمعالجة كلّ فرع بما يلائمه، لبناء الإنسان المسلم الصالح، مع كشف مخططات الأعداء لتنفيذ أغراضهم في هذا المجال الحيويّ الخطير.

* * *

(٦) كتاب: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة

أحد مؤلفات (الشيخ) في (سلسلة أعداء الإسلام)، وفيه دراسة علمية نقدية تحليليّة بمنظار إسلامي لزيوف كبريات الآراء والمذاهب الفكرية المعاصرة وأئمتها.

وهو عبارة عن سفر من مجلد واحد تبلغ صفحاته (٧٥٤) صفحة، وقد ظهرت طبعته الأولى عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

وكان غرض المؤلف بهذا الكتاب تفادي الفتنة المعاصرة الكبرى بهذه المذاهب، التي تناولت بالهدم والتشويه حُرُمَاتِ العقائد الدينية الربّانية، ومقدّسات المبادئ والأخلاق ومناهج السلوك الإنساني الذي جاءت به الشرائع الربّانية، والتي واكبت منجزات الحضارة المادية المعاصرة، التي بدأت منذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي في الغرب، وتسارعَتْ بشكل مذهل، أعطى أصحاب هذه المذاهب، وعلى رأسهم اليهودية العالمية قوًى سرطانية تدميرية، أُدخلت عن طريق الدراسات الفلسفيّة والنفسيّة والاجتماعيّة، ممّا جرَّ الفساد والبلاء على شعوب الأرض. . . الأمر الذي يُلْزِمُ كلَّ داعٍ إلى الحقّ، ومفكّر منصف أن يكشف زيفها. ويبين للناس صراط الحق المناقض لها.

ويدعو كلَّ باحثٍ عن حقيقة هذه المذاهب أن يطّلع على هذا السِّفر المنظم الجامع ليقي نفسه وغيرَهُ من شرِّ الوقوع بفتنتها.

وقد كتب (الشيخ) هذا الكتاب بمنهجية علمية عقلية منطقية بعيدة

عن الإثارات العاطفية والغوغائية والسَّفْسَطة، فنظر في الأفكار والمذاهب التي أفرزها الاتجاه العلماني المعادي للدين، أو المهمل له، ونظر في أسباب نشأة هذه المحدثات المعاصرة، ومناخ ترعرعها، وعوامل ظهورها القَوِيِّ، في هذه الحقبة. فقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول

وهو بمثابة الأرضية للكتاب، إذ جعله للمقدّمات العامة الضرورية، والمبيّنة لوسائل التضليل التي تروّج لها الشعارات والآراء والمذاهب المزيّفة، وعقد له بابين فيهما ستّة فصول.

القسم الثاني

جعله لعرض أهم الشعارات البرّاقة المزيّفة الباطلة، ولأفكار وآراء ومذاهب جزئية موزعة في علوم مختلفة، مع كشف زيوفها، وتعريف بأئمّتها. وعقد له أربعة أبواب فيها سبعة عشر فصلاً.

القسم الثالث

وجعله لكبريات المذاهب الفكرية ذات التأثير المهيمن على سلوك شعوب وأمم ودول العالم، مع كشف زيوفها، وتعريفٍ بأئمتها، وعقد لهُ ثلاثة أبواب فيها أربعة عشر فصلاً.

في القسم الأول:

في الباب الأول منه: عرض المؤلف مناخ نشأة المذاهب الفكرية المعاصرة وعواملها الأربعة، وتحرك اليهود لاستغلال هذا المناخ الملائم، وأسباب تقبّل شعوب الأمة الإسلامية لوافدات هذه المذاهب.

في الباب الثاني: تحدث عن وسائل التضليل لترويج الشعارات والآراء والمذاهب الفكرية المزيّفة، وذلك باستخدام عشرة عناصر ساعدت على انتشارها، مع تبيان المغالطات الجدلية الأربع عشرة التي استخدموها، مع لعبتهم في تطبيق المنهج العلمي الخاص بالقوانين الجبرية في الكون على السلوك الإرادي الإنساني!!.

في القسم الثاني:

عرض لأهم الشعارات البرّاقة المزيّفة والمذاهب والآراء الفكرية المعاصرة المنبثّة في علوم مختلفة، مع كشف زيوفها، وتعريف بأئمتها، وكشف هويّاتهم.

وقد عرض **في الباب الأول** من هذا القسم مقدمات حول اعتماد العقل والعلم الإنْسانيّ ليحلاّ بدَلَ الديّن.

وفي الباب الثاني: بيّن استخدامهم لافتراءات يروّجونها ضد الدّين والأخلاق، والقوانين والنظم المنبثقة عنْهُما. وترويجهم لفرية التناقض بين العقل والدين، والعلم والدّين، ومزاعمهم الضالة المضلّة لهدم أسس الأخلاق وأبنيتها وتطبيقاتها في المجتمعات، ويختم هذا الباب بإيراد مقالات لبعض المنصفين من علماء الغرب الذين يتطلّعون إلى الأمَّة الإسلامية بقيمها ومفاهيمها الأصيلة، لتقوم بدورها لحل مشكلة إشراف العالم على الانهيار.

وفي الباب الثالث: من هذا القسم يكشف خداع الشعارات كالحرّية والمساواة، والتقدمية والرجعية، والاشتراكية، وكيف جعلوها تَعُوم في بحرٍ من الألفاظ الفضفاضة التي اسْتغلَّها المضلّلون لتحقيق أغراضهم، مستتبعاً ذلك ببيان موقف الإسلام من الوطنية والقومية والإنسانية.

وفي الباب الرابع: لهذا القسم يورد بعض الأئمة والمذاهب الجزئية في بعض العلوم، مع كشف هويّاتهم وزيوف آرائهم، وهم (فرويد) ومدرسته في التحليل النفسي. و(دارون) ومذهبه في التطور، و(دركهايم) وعبثه في علم الاجتماع، و(برجسون) وأراؤه في نشأة الدين والأخلاق. و(سارتر) في وجوديته وزيوفه، و(مكياڤيلّي) ومذهبه في الغاية والوسيلة، و(ماركوز) وآراؤه الثورية.

والقسم الثالث:

خصص لعرض المذاهب الفكرية المعاصرة السائدة وأئمتها، وهي **المادية الإلحادية والماديون، والنظم الاقتصادية المعاصرة، والنظم السياسية المعاصرة.**

ـ **في الباب الأول**: لهذا القسم، عرض الإلحاد وظاهرته في التاريخ، وعرض لآراء بعض أئمَّة الإلحاد، مع نقدها منذ أيام الإغريق، وحتى العصر الحاضر. مثل:

(توماس هوبز) و(ديفيد هيوم)، و(شوبنهور) و(كارل ماركس)، و(انجلز) و(نيتشه)، و(سبنسر) و(برتراندرسل).

ثم أوضح أسس الفكر المادي الإلحادي وكشف زيوفه بكواشف سبعة، متبعاً ذلك ببيان شواهد من أقوالهم حول ما يعانون منه من شقاء نفسي.

وفي آخر هذا القسم يتحدّث عن الماديّة الجدلية في الكون والتاريخ عامة، والماركسية خاصة بعد كشف زيفها.

ـ**وفي الباب الثاني**: **المتعلق بالنظم الاقتصادية المعاصرة**، يستعرض

المؤلف نظرة تاريخية حول المذاهب الوضعية للنظم الاقتصادية، ثم يبين لمحة موجزة حول منهج دين الله للناس في شؤون المال، مع بيان أسس ذلك المنهج. ليعقد في النهاية مقارنة بينهما، لإظهار تباينهما تبعاً لاختلاف أسسها الجذرية، وأُصولها، الّتي يردُّها إلى ثلاثة أصول: أوسطها في القمّة نظام الإسلام الاقتصادي الربّانيّ، وعلى منحدر اليمين النظم الوضعيّة المنحازة إلى الفرد، والمسرفة في حرّيته في التصرفات الاقتصادية، وعلى منحدر اليسار النظم الاقتصادية الوضعية المنحازة إلى الجماعة، وإسرافها ضد الفرد، مما يوضح للقارئ خطأهم في ترك صراط الوسط، صراط نظام الإسلام الاقتصادي، أخذا من جذوره وأصوله، وليس كما هو حال الوضع الاقتصادي المعاصر للمسلمين، المهلهل المرقع، الذي جعل أعداء الإسلام يربطون تخلّف المسلمين بالإسلام زوراً وبهتاناً.

وفي نهاية هذا الباب يبين الوسائل التي يمكن اتخاذها لتطبيق نظام الإسلام الاقتصادي الحق.

- **وفي الباب الثالث: المتعلق بالنظم السياسية المعاصرة:** يستعرض المؤلف نظرة تاريخية حول المذاهب الوضعية للنظم السياسيّة، ومن ثم يُعْطي لمحة موجزة حول منهج دين الله للناس في شؤون الحكم، مع شرح مفاهيمه الأربعة عشر، ليُتْبِعَ ذلك بمقارنة بين نظام الإسلام في الحكم الذّي يمثّل وسطية الإسلام، مع الأنظمة الأخرى، على غرار المقارنة مع النظم الاقتصادية، إذ ينحدر إلى جهة اليمين الحكم الاستبدادي، وإلى جهة اليسار النظم الشعبيّة (الديموقراطية). ويعقد فصلاً خاصاً لمناقشة الديموقراطية وموقف الإسلام منها.

ويختتم هذا القسم بوجوب إقامة الحكم الإسلامي عند الاستطاعة، مع بيان بعض ملامح ذلك الحكم.

ومما يعطي لهذا الكتاب أهمية خاصة أن مؤلفه (الشيخ عبد الرحمن حبنكه الميداني) هو أحد أقطاب الفكر الإسلامي المعاصر، الذي تمرّس في فهم الإسلام، عقيدة ونظماً وسلوكاً، وتطبيقاً في حياته الخاصة.. وتدريساً وتوجيهاً وتوعيةً ما يزيد على نصف قرنٍ من الزمان، بالإضافة إلى اطلاعه الواسع على ثقافات العصر الفكرية الفلسفيّة والنفسية والاجتماعية متتبّعاً جذورها التاريخية.

مع مقدرته الفذّة على الجدل والمناظرة وَفْق أُسُس وضوابط عقلية منطقية.. الأمر الذي جعله بمدّدٍ من الله يكشف تناقضاتهم وتزييفهم للحقائق وسفسطاتهم ومغالطاتهم، مُقَارعاً حججهم الواهية وافتراءاتهم الحاقدة الكاذبة بحججٍ وبراهين وأدلة ساطعة كشفت زيفهم، وأظهرت الحقائِق نقيّة سَاطِعةً، تدعو كل طالب علم أن يطلع عليها ويتطلبها..

* * *

(٧) كتاب: ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ مع دراسة شاملة للنصوص القرآنية في النفاق والمنافقين

سفر يقع في مجلدين تبلغ صفحاته نحو (١٤٠٠) صفحة، وهو أحد كتب (سلسلة أعداء الإسلام)، وقد كان إصداره الأول عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. وهو يشتمل على أربعة أقسام:

القسم الأول: وفيه مقدمة عامة وتعريفات عامة في خمسة فصول:

تناولت بحث النفاق وخطره العظيم على الحقّ وأهله، وتسلل المنافقين وإفسادهم من الداخل. وصناعتهم للنكباتِ والفتن الداخلية.

وتعريف الإيمان والإسلام، وأقسام معلني الإسلام والكفر، وتعريف الكفر، وبيان دركاته ثم بتعريف النفاق، وأقسام المنافقين، ودوافع النفاق، ودركاته، والنفاق الأصغر، ومجالات النفاق وصُوَر منها: النفاق الأصغر (الرياء)، نفاق الجاسوسية، نفاق السياسة والحكم، نفاق التعامل المالي، النفاق بتقديم المساعدات الإنسانية، والنفاق الاجتماعي بين الأفراد، وتخوف الصحابة من النفاق الأصغر والأكبر، وبيان المنافق في التشبيهات النبوية، وملخص صفات المنافقين النفسية، وآثارها في سلوكهم الظاهر والباطن، اقتباساً من النصوص القرآنية. وجرياً على عادة المؤلف في استخلاص الموضوعات باستقراء علمي وسبر ودراسة متأنية استطاع (الشيخ) أن يستخرج من النصوص القرآنية (١١٤) صفة نفسية وسلوكية للمنافقين.

القسم الثاني: وهو يشتمل على دراسة تحليلية واستنباطية

للنصوص القرآنيـة التي نزلت في شأن المنافقين، مرتّبةً بحسب ترتيب نزولها، مع بيان أسباب النزول، وهي أربعة وثلاثون نصاً.

والأخير منها الذي هو من سـورة (التوبة) بمناسبة أحداث (غزوة تبوك) قسَّمَهُ إلى سبعة عقود، وأوفى دراسة كل عقد منها دراسة تدبّرية متأنية.

القسم الثالث: قدم فيه المؤلف دراسة تاريخية للمنافقين وصُوَراً من خبائثهم في التاريخ، ولم يَدَّعِ الاستيعاب، لأن تاريخ النّاس لايحصيه إلاّ رَبُّ الناس!!، إلاّ أنه جمع مقَداراً كبيراً من المنافقين ولا سيما الذين دُوّنت أحداثهم لدى كتاب التاريخ من المسلمين. فذكر منافقين قبل بعثة محمد ﷺ. ثم في عصره، ثم منافقين عبر التاريخ...

القسم الرابع: قدم فيه المؤلف دراسة لأهم منظمات النفاق العالمية ذات الشـعارات الإنسـانية ظاهراً، والشـيطانية باطنـاً وهدفـاً!، أمثـال (الماسونية) ـ (نوادي الروتاري) ـ (نوادي الليونز) ـ (الشيوعية) ـ (منظمة شهود يَهْوَه) أي شهود الله...

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ موضوع هذا الكتاب، لم يسبق أن كتَبَ فيـه بمثـل هـذا الشمـول والاستيعـاب أحـدٌ مِـنَ المـؤلفيـن السـابقيـن ولا المعاصرين، ولا سيما أنه قد جمع فيه (الشيخ) بين القديم والجديد حتى المعاصر من مكايد المنافقين.. وخبائثهم، وبصورة خاصة منافقو العصر الحديث.

كما كان رائداً في استنباط صفاتهم وكشفها أخذاً من كتاب الله الذي لا تنتهي ذخائره ولا تفنى عجائبه..!!.

* * *

(٨) كُتَيّب: بعنوان أجوبة الأسئلة التشكيكيّة الموجهة من قبل إحدى المؤسسات التبشيرية العاملة تحت تنظيم (الآباء البيض)

وهو رسالة تعتبر من (سلسلة أعداء الإسلام) يمكن وضعها في الجيب من (١١٨) صفحة.

وقصة هذه الرسالة أن (الشيخ) قد تلقّى خطاباً من أمين المجلس القارّي للمساجد في أوروبة، مصحوباً بأسئلة تقدمت بها إلى الأمانة العامة لهذا المجلس في (مدريد) عاصمة إسبانية ـ إحدى المؤسسات التبشيرية العاملة تحت تنظيم ما يسمى (الآباء البيض)، وأنه جاء في خطاب هذه المؤسسة التبشيرية بالنصرانية، أن هذه الأسئلة ستوزّع على العديد من التّيارات الفكرية الإسلامية، لتَنْتقي أمانة المجلس القارّي الأجوبة وفق ما تراه مناسباً.

وقد رأت هذه الأمانة العامة ـ كما جاء في خطابها ـ القيام بإصدار كتاب يحوي ردود العلماء والفقهاء في العالم الإسلامي.

واضطلاعاً بالواجب فقد رأى (الشيخ) أن يكتب ردّاً علمياً منطقياً على هذه الأسئلة.

فحرّر هذه الرسالة التي اشتملت على الردود المسكتة المفحمة التي تردّ السّهام إلى نحر مُطْلِقها!، ولا سيما أنّ فيها ردوداً تعتمد على ما جاء في الكتاب المقدس للنصرانية (من فَمِكَ أَدينُك).

وقد جاءت بحمد الله هذه الرسالة كافية شافية، مبيّنة فساد هذه الأسئلة من أساسها، وعدم تلاؤمها مطلقاً مع المفاهيم والمبادئ النصرانية. التي يَدَّعي (الآباء البيض) أنهم يبشّرون بها، وأبان أنهم يتناقضون فيها مع مبادئهم.

وكشف أنّ هذه الأسئلة، لا يوجهها أو يُوجّه نظيرها إلا العلمانيون، وأنها تعتمد على عنصري: (الحرية والمساواة) شعارَي الماسونية اللذين أفسدَ بهما اليهودُ العالمَ، وفق مفاهيمهم المضلّلة المشوهة.

ومما يجدر ذكره أن الأسئلة الواردة فيها تمضغها أفواه جهات كثيرة، ممن يريدون أن يشككوا في الإسلام ومبادئه، وبفضل من الله جلّ شأنه فقد جاءت ردود (الشيخ) عليها منطقيةً رصينةً مُحْكَمةً، تعتمد على مبادئه في حُسنِ الجدل والمناظرة، وكانت طبعتها الأولى عام ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، التي كانت من إصدارات (دار القلم بدمشق). ووافق على طباعتها (المجلس القاريّ الأوروبي للمساجد)، وطبعه طبعة خاصة به عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، لتوزيعه على المعنيين من الأقليات المسلمة والمهتمين بالدعوة الإسلامية في الخارج.

* * *

(٩) كتاب: التحريف المعاصر في الدين

(تسلّل في الأنفاق بعد السقوط في الأعماق)

كتاب متوسط الحجم من (سلسلة أعداء الإسلام) تبلُغ صفحاته (٢٣٧) صفحة من القياس المعتاد. وكانت طبعته الأولى عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١ ـ كشف (الشيخ) فيه بالتحليل العلمي المنطقي التضليل الفكري التحريفي المتعمّد في نصوص القرآن والسنة، فيما يسمى (بقراءة معاصرة لهما) هادفة إلى نسف كل المبادئ والمفهومات الإسلامية، جذورها وأصولها وفروعها!، وادّعاء معاني أخرى لها مصنّعة ضمن قوالب الفكر الماركسي، على طرائق التأويلات الباطنية، وحيل التلاعب بالألفاظ، وإيهام أن اللّغَة تساعد على ذلك!!.

٢ ـ وهذا الكتاب تتبّع فيه المؤلف على وجه الخصُوص الأباطيل الشنيعة، والكفريّات التي اشتمل عليها كتاب المهندس المدني، المنتمي انتماء صورياً إلى المسلمين، الذي يدعى (د. محمد شحرور)، والماركسي في حقيقته انتماءً وولاءً!!.

٣ ـ وقد عرّى (الشيخ) عورات (الشحرور) الفكرية تعريةً فاضحة جداً، واكتفى ببيان طائفة من تناقضاته وسخافاته..، مشيراً إلى أنه قد قَرِفَ من متابعة القذارات الفكرية والكفرية التي اشتمل عليها كتابه..

لأنه لو عمد إلى متابعة كل ما في هذا الكتاب من زيوف وقذارات

لما كفته المجلّدات، ولكنّه أهون من أن يضيّع في متابعة كل ما جاء به الأوقات. .

وفي النماذج التي قدّمها ما يكفي القارئ الذي يُهِمُّه أن يعرف الحق، ولا يسقط في الزيف. . ولا يقنع بالباطل وهو لا يشعر.

وقارئ هذا الكتاب يدرك أنه بعد أن عجز أعْداء الإسلام وأذنابهم من ذراري المسلمين عن الطعن في الإسلام، وإلقاء الشبهات حوله، ومحاربة كل ما يمتُّ إلى الإسلام وأهله! عقيدة ونظاماً ووسائل، بشتى الطرق! عمدت شياطينهم إلى حيلة جديدة وهي التحريف في مفاهيم ودلالات النصوص الإسلامية القطعية، بغية نسف الإسلام كله عقيدة ونظماً وأحكاماً. .

فعمدوا إلى الإبقاء على الألفاظ، وزوَّروا في المعاني والمضامين ليدخلوا الزيف على عقيدة وأفكار النشء المسلم، الذي يفتقر إلى الأسس الثقافية الإسلامية ـ الأمر الذي يسهل عليه إدخال الزيوف والأباطيل على عقيدته ومبادئه ومفاهيمه وقيمه، من خلال إقناعه بأن النصوص الإسلامية تدُلُّ على هذه المفهومات التي دسُّوها. ومن ذلك ما فعله (د. الشحرور) في تحريفه لمفاهيم ودلالات النصوص القرآنية وصبّها في قوالبِ الماركسية التي يؤمن بها.

* * *

رابعاً: سلسلة من أدب الدعوة الإسلامية

(١) كتاب: مبادئ في الأدب والدعوة

كتاب متوسّط الحجم تبلغ صفحاته (١٧٧) صفحة. وهو في الأصل بحث أعدّه (الشيخ) (للندوة العالمية الأولى للأدب الإسلامي) التي انعقدت في أواسط شهر جمادى الآخرة من سنة١٤٠١هـ، والتي نظّمتها (دار العلوم لندوة العلماء في مدينة لكهنؤ ـ بالهند)، ودعا إليها رئيس الندوة الإمام العلاّمة الداعية الإسلامي الكبير سماحة الشيخ: (أبو الحسن علي الحسني الندوي)، فقد كان رحمه الله أول المهتمّين في هذا العصر بقضية الأدب الإسلامي، والدعوة إلى العناية به، وتأصيله وتقعيد قواعده.

وقد كان (الشيخ عبد الرحمن) أحد اثنين ممثلَيْن لجامعة (أم القرى) بمكة المكرمة للمشاركة في هذه الندوة.

١ ـ وفي هذا الكتاب حاول(الشيخ) كعادتِه في تحْديد التعريفات والمفهومات، وضعَ تأصيل للأدب الإسلامي، وتمييزه عن كل أدب آخر لا تصحّ نسبته إلى الإسلام، بأي وجه من الوجوه، ووضع له (تعريفاً منضبطاً).

٢ ـ وأبانَ فيه واجب المسلمين تجاه الأدب، وحرّر فيه معنى الالتزام في الأدب، ووظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي، ووسائل دعمه، والأدب في تاريخ الأمة الإسلامية، وضرورة ظهور الأدب الإسلامي على الساحة الإنسانية.

٣ ـ وقـدّم فيه نظرة عجلى حـول المذاهـب الأدبيـة (الليبـرالية ـ والوضعية ـ والماركسية ـ والوجودية ـ والرومانتيكية الابتداعية ـ والواقعية).

٤ ـ وأوضح فيه غزو هذه المذاهب الأدبية وأشباهها للأمة الإسلامية

٥ ـ وعقد المؤلف فيه فصْلاً بيَّن فيه الحاجة إلى الأدب في مجال الدعوة، وما هو المطلوب من الدعاة، وحملة الرسالة الإسلامية.

٦ ـ وعقد فصلاً شرح فيه أنّ الأدب زينة الكلام، وبيّن فيه استخدام الزينة في أدب البيان، وأقسام الزينة.

٧ ـ وعقد فصلاً شـرح فيه أن الزينة من الجمال، وذكر فيه (حب الجمال ـ ومجالاته ـ وتعريفه ـ وعوامل اختلاف نظرات الناس إليه).

٨ ـ وعقد في الكتاب فصلاً موسَّعاً شرح فيه عناصر الكمال والجمال الأدبي، مستنبِطاً في دراسته لهذا الموضوع عشرين عنصراً من عنـاصر الجمال في الأدب.

٩ ـ وفي الفصْل الأخير قدَّم اقتراحاً بتقسيم الكلام من ناحية الشكل إلى أربعة أقسام هي: (الشعر ـ النظير ـ النثر ـ النثير).

وختم الكتاب بتوصيات (الندوة العالمية للأدب الإسلامي).

وكان عمل (الشيخ) في هذا الكتاب مبتكراً في معظم عناصره، وفي تقعيده للأدب الإسلامي وتعريفه..

وقد لقي هذا البحث استحساناً كبيراً، جعل بعض المهتمين بالأدب يقدّمون قراءات فيه في بعض الإذاعات، وتعليقات تحليلية لما جاء فيه من جديد أفكار يحتاجها الأدب الإسلامي في ثوبه الجديد.

* * *

(٢) (٣) (٤) دواوين شعرية عناوينها:

(ديوان أقباس في منهاج الدعوة وتوجيه الدعاة)

(ديوان ترنيمات إسلامية)

(ديوان آمنت بالله)

لقد حبا الله تعالى (الشيخ عبد الرحمن) في شخصيته الفذّة المتميّزة، بالإضافة إلى منطقية العلماء المحققين المحلّلين المدققين، لكل ما يكتُبه من علوم وتصانيف مختلفة، بأنْ وهبَهُ شاعرية متدفقة، وحِسًّا مرهفاً، وقلماً سيّالاً، جعلَ مِنْهُ أديباً أريباً، يحسن التعامل مع الكلمة والفكرة والبيان، وفق أسلوب فذّ أدبيّ متميّز.. رفيع المستوى، في نثره وشعره، الأمر الذي يُضْفي على كتاباته طابعاً خاصاً نجده واضحاً في (دواوين الشعر) التي جادت قريحته الشاعريّة بها، وهي تدور حول مواضيع مختلفة، تخدم أغراضاً ساميَة..، ومعظمها يدور حول مفهومات إسلامية، وحِكم ومواعظ، ونصائح ودعوة إلى الله، وبعض عيون المراثي.

ولم ينشر إلا ثلاثة دواوين منها هي: (أقباس في منهاج الدعوة وتوجيه الدعاة)، وديوان (ترنيمات إسلامية)، وديوان (آمنت بالله)، ولا يزال عنده الكثير الذي لم يتسع وقته لتصنيفه وتبويبه للنشر، لانشغاله بأمور أهم ولا سيما تفسير القرآن.

١ ـ أما ديوان (أقباس في منهاج الدعوة وتوجيه الدعاة): الذي نشر

عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، فهو يشتمل على ثلاثة وأربعين قصيدة، فيها قصائد تعتبر من عيون الشعر الذي يخْدُم الدعوة ويوجه الدُّعاة والوعاظ. ومجموع أبيات هذا الديوان (٢١٨٠) فيها من الخير الكثير، وعدد صفحاته (٢٥٣) صفحة.

٢ ـ **(ديوان ترنيمات إسلامية)**: الذي صدرت طبعتُه الأولى عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. وهو يشتمل على ستين قصيدة، صالحة لأن تكون كل واحدة منها نشيداً إسلامياً يردده المنشدون بأصواتهم الجميلة في المناسبات، وهو من القطع المعتاد، وعدد صفحاته (١٨٠) صفحة.

٣ ـ **(ديوان آمنْتُ بالله)**: فيه (٢١) قصيدة، ومنهج (الشيخ) في هذا الديوان منهج مبتكر، إذ يأتي بنصٍّ قرآني يدلُّ على آية من آيات الله الكونية، ثم يأتي بقصيدة ذات صياغة أدبية، وهي تتضمن بياناً علمياً وأدبياً معاً، يكشفُ ما في هذه الآية الكونية من دلالات تنتزع من العاقل المنصف إعلانه الإيمان بالله عزَّ وجلّ... !!.

وتبلغ صفحات هذا الديوان (١٠٠) صفحة من القطع المعتاد، زاوج فيها (الشيخ) بنسقٍ فريدٍ مبتكر، بين المعنى القرآني الثرّ الذي يريد أن يبيّنه للغافلين عن عجائب خلق الله، وبين ما جاء في الكتب العلمية الحديثة، إذ يصوغه في قصيدة أدبية رائعة تُحركُ كوامن الإيمان في النفوس!. فمثلاً في تدبّره الفكري العلمي الأدبي للآية: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ٤]. نراه يستقي المعلومات العلميّة عن مسيرة النطفة وتطوّرها من أمهات كتب الأحياء العلميّة، فيصف كيف يُسيّر الله النطفة، وكيف يَتِمُّ اللقاح والنمو المتدرج حتى تصبح جنيناً كاملاً في بطن أمه، ثم كيف يندفع ذلك الطفل إلى الحياة الدنيا، ثم يصبح إنساناً قوياً لا يلبث أن يتنكر لخالقه!، الذي خلقه من

نطفـة من ماءٍ مهين! ، ويجادل بمخاصمة شـديدة حول قضايـا الإيمان منكراً جاحداً ناسياً أصله ومَنْ خلقه!! .

وهكذا فقد كانت قصائد هذا الديـوان الإيماني روائـع من الأدب الإسلامي .

* * *

(٥) كتاب: البلاغة العربية

(أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها)

(بهيكل جديد من طريف وتليد)

سفر من مجلّدين تبلغ صفحاته (١١٧٠) صفحة. كان إصداره الأول عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. وهو كتاب جمع فيه (الشيخ) زبدة ما انتهى إليه السابقون من علوم البلاغة، وقدّمها سهلةً مبسطةً ميسّرةً مذلَّلةً لطالب العلم.

وفي هذه الدراسة اجتهد (الشيخ) على حَدِّ تعبيره في الانتقاء واستيعاب الأمهات والمهمات، متجاوزاً التفصيلات التي لا تُكسِبُ مَلَكَةَ تذوُّقِ الجمال البياني، والتي دخلت في علوم البلاغة بتأثير الدراسات المنطقية والرياضية العقلية الصرف، ومتجاوزاً الإجراءات التي تشبه التحليل الكيمائي في معامل الكيمياء!!، والتي تفقد النصّ روعته الجمالية، كأنواع الاستعارات في الفعل والحرف.

وأضاف المؤلف في كتابه هذا إلى ما سبق أن كتبه المؤلفون في علوم البلاغة:

١ ـ **جملة طرائف ولطائف**: وهي من عناصر إعجاز القرآن البياني، رغب (الشيخ) أن يضيفها إلى علوم البلاغة التي استقرّت منذ قرون على هيْكل لم يدْخُلْه من الإضافات والتعديلات إلا القليل، وبعض التطبيقات من الأمثلة.

٢ ـ اكتشافات قيّمات لعناصر جمالية بلاغية وأدبية: كان يدوّنها ويشرحها، ورأى أنها تصلح لأن تضاف إلى هذا العلم النفيس.

٣ ـ أمثلة كثيرة من القرآن: مع الأمثلة التي اعتاد البلاغيون ذكرها، ومع أمثلة من الشعر والنصوص الأدبية التي استطاع أن يكشف فيها جوانب بلاغية، ووضعها شواهد في مواضعها المناسبة لها.

ـ واعتنى بشرح الأمثلة وكشف ما فيها من شواهد للقواعد البلاغية. وأضاف عناصر جزئية في مختلف فصول الكتاب وبحوثه، كما اعتنى بوضع مشجرات وجداول على شكل رسوم لتساعد الدارس على أخذ نظرة شمولية للبحث.

ـ ومما أضافه أيضاً إلى ما كتبه الكاتبون في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع):

أ ـ فصل الجمال في الكلام: أبان فيه عناصر الجمال في الألفاظ، وعناصر الجمال في المعاني وعرّف الجمال، وأبان عوامل اختلاف نظرة الناس إلى الجمال، وشرح عناصر الجمال والكمال الأدبي فيه.

وقد أرفق ذلك كلّه بأمثلة توضيحية، وذلك في دراسة مبتكرة..!، كما هو مدوّن في الفصل الأول من المقدّمات العامّة للكتاب الواردة في الجزء الأول.

ب ـ أضاف نظرات تحليلية للأشباه والنظائر: تساعد البلاغي على استخراج المفاهيم الدقيقة، وتساعد الأديب على اكتشاف رؤى جديدة، واستعمالها في أدبه، كما في الفصل الرابع من باب علم البيان في جـ٢.

جـ ـ وأبان أيضاً منهج البيان القرآني في التنويع والتكامل: في

المقولة الأولى من الفصل الخامس من باب علم البيان جـ٢ .

د ـ ومنهج البيان القرآني في حكاية الأقوال والأحْداثِ والقصص: في المقولة الثانية في الفصل الخامس من باب علم البيان جـ٢ .

هـ ـ أورد كثيراً مما ذكره علماء العربية في النحو والصرف: مما ينبغي لدارسي علوم البلاغة أن يعرفوه .

وكان علماء البلاغة يحيلون على كتب النحو والصرف فيها، لكن دارسي علوم البلاغة بعد ذلك لم يكونوا على اطّلاع واسع بعلوم اللغة العربية، فكانوا يهملون الرجوع إليها، فتفوت عليهم فوائد جمة! .

فجاء كتاب (الشيخ) هذا جامعاً مستوفياً لما ينبغي أن يستوعبه المتخصص بدراسة علوم البلاغة، وما يحتاج إليه في الدراسات البلاغية من علوم النحو والصرف. مع تدريبه بالأمثلة الوافرة على أن تكونَ لديْه ملكة التطبيق على أمثلة كثيرة تشتمل عليها النصوص البليغة الرفيعة .

ومما يزيد في قيمة هذا السفر أنّه أَحَدُ أمهات كتب (الشيخ) في فنون مختلفات، والتي تعتبر بمثابة (موسوعات) قَعَّدَهَا، إذ جعل كلّ كتاب منها علماً قائماً بذاتـه، بدءاً من تعريفاته إلى أُسُـسِه وطرق بحثه وتطبيقاته إن وجدت. مثل (كتاب العقيدة الإسلامية وأسسها) ، وكتاب (الحضارة الإسلامية. أسسها ووسائلها وصور من تطبيقاتها) .

هذا وقد حثّ (الشيخ) أصحاب المواهب الأدبيّة أن يُتابعوا بحوثهم المتأنّية لاستخراج ما فات السابقين استخراجه، من نصوص القرآن والسّنة، وذلك ليغوصوا في بحار كلمات الله المكتوبة، ليستخرجوا منها درراً لا تعدّ ولا تحصى، خدمة لدين الإسلام الذي ختم الله به رسالاته للناس، وأراده ديناً للناس كافة، والحمد لله رب العالمين .

وللأمانـة فإني أنقل في آخـر هذا التعريف ما ذكره فضيلـة الدكتور عبد الله عبـاس الندوي، عن أسـاتذة علم البلاغـة في (دار العلوم لندوة العلماء) في مدينة (لكهنؤ) بالهند، أنهم قالوا بشأن كتاب (البلاغة العربية للشيخ) ما يلي:

«كانت كتب البلاغـة تُعنى بالمصطلحات البلاغيـة والتعريف بها وذِكر بعض الأمثلـة عليها، دون أن تُكْسِبَ الدارس الذّوق الأدبي الذي يستطيع به كتابة أدب رفيع!.

لكن كتاب (البلاغة العربية للشيخ عبد الرحمن) بما اشتمل عليه من بيان وتعليل وتحليل وأمثلة وافرة، ولا سيما الأمثلة من القرآن الكريم، يجعل دارسـه المؤهل يكتسـب هذا الذوق الأدبي البلاغي، ويحاول أن يطبقه فيما يقول، وفيما يُنشئ من نثرٍ أو شعرٍ أو مقامة».

* * *

خامساً: كتب متنوعة

(١) كتاب: (ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة)

سفر من مجلد تبلغ صفحاته (٤٦٤) صفحة، وقد طبع عدَّة طبعات، وكانت طبعته الأولى عام١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

اشتمل هذا الكتاب على خمسة أقسام، جمَعَتْ علم المنطق القديم، وزبدة علم المنطق الحديث، وطائفة مِنْ أمَّهات القضايا والمصطلحات الفلسفية الدائرة في كثير من العلوم الإسلامية التي تعتبر من الأسس النافعة لضبط المعارف، وليس فيها ما يخالف مفاهيم نصوص مصادر التشريع الإسلامي، مع طائفة من القواعد الأساسية الضابطة للفكر، والنافعة في العلوم، ولاسيما الإسلامية التي يحتاج ضبط قضاياها الفكرية إلى مصطلحات علم المنطق، واشتمل على تصنيف سهل ميسَّر مقسم ومرتب ومُوضّح بالأمثلة اللازمة لفنٍّ آداب البحث والمناظرة.

وهذا الكتاب يحتوي على مفاتيح لكثير مما تشتمل عليه العلوم الإسلامية، وهو مقدّمة ضرورية متوسّطةٍ لدارسي العلوم الإسلامية بتوسُّع، التي كُتِبَ الكثير منها في ضوء ضوابط القضايا الفكرية. والمصطلحات التي اشتمل عليها علم المنطق، وفي ضوء بعض المبادئ الفلسفية الصحيحة..

هذا بالإضافة إلى مافيه من مصطلحات وبعض المناظرات القرآنية.

ومن ميزات هذا الكتاب كما ذكر بعض كبار الأساتذة المتخصصين،

الذين أثنـوا عليـه ودرّسـوه لطلابهم، (أنـه كتـابٌ وأسـتاذٌ معاً)، وذلـك للأسباب التالية:

١ ـ **أن تصنيفه سهل ميسّر مقسّم مرتّب** منسجم مع أساليب مؤلفات العلوم المعاصرة التخصصيّة، وموضح بالأمثلة الوفيرة، وفي كثير منها أمثلة قرآنية، تدرّب دارسَهُ على اكتشاف نظائرها من القرآن والسنة.

٢ ـ **أنـه اشتمل على رسـوم بيانيـة** وجداول تقـرّب للدارس فهم القضايا، وحصر الأقسام، وجمع الأشباه والنظائر، وأطراف المسائل.

لذلك فقد جعلته بعض الكليّات ذات العناية بالدراسات الإسلامية، مرجعاً بديلاً للمقدمات التي تدرّس عادة مدخلاً لعلم (أصول الفقه)، أو كتابـاً مقرراً يدرّس منـه (علم آداب البحث والمنـاظرة)، وجعلتْـه بعض الكليات الشـرعية في العالـم العربي كتابـاً مقرراً لمادّة علم المنطـق الذي يحتاجه طلاب العلوم الإسلامية بوجه عام.

ويعتبر هذا الكتاب أيضاً مرجعاً لطلاب العلوم الإنسانية، وبديلاً ميسّراً مقروناً بالأدلّة والأمثلة لمن تحتاج علومُهم إلى دراسة علم المنطق الحديث.

ـ هـذا وقد نقل فضيلـة الدكتور عبد الله عباس الندوي أيضـاً عن أسـاتذة علم المنطق في دار نـدوة العلماء في لكهنؤ بالهنـد، أنهم قالوا بشـأن كتاب (ضوابط المعرفـة وأصول الاسـتدلال والمناظرة): «كان علم المنطق علْماً يونانياً نقله علماء المسلمين الأقدمون، كما هو عند اليونانيين معقداً مكثّـف العِبَارات، محدود الأمثلة، فَأسْلمَ (الشيخ) هذا العلم بكتابه (ضوابط المعرفة)».

ولله الحمد والمنّة.

* * *

(٢) بصائر للمسلم المعاصر

سفر من مجلد واحد تبلُغُ صفحاته (٤٥٧) صفحة. صدرت طبعته الأولى عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، وهو كتاب خاطب فيه (الشيخ) شباب الحركات والاندفاعات الإسلامية المعاصرة، التي لم تهتدِ بهدي الإسلام في كثير من مفهوماتها، ولا في كثير من تحرّكاتها واندفاعاتها، وأعمالها..، ولا سيما التورُّطات في أعمال قتالية أو إرهابية، يسمّونها جهاداً في سبيل الله، وهي ليست منه..!، إذ لم تلتزم فيها بما أمر به الإسلام أو نهى عنه، أو شرعه..

وعمَّمَتْ دلالات النصوص تعميمات خاطئات، وكانت بعض أعمالها غير مشروعة..!، وإن كانت مدفوعة بنيّات حسنة.. يتصورون أنهم يخدمون الإسلام بها!!، فقد أساؤوا من حيث يزعمون أنهم يحسنون صنعاً..!!.

فاتّخذ أعداء الإسلام ذلك ذريعة لضربِ الإسلام، والرموز الإسلامية، والثوابت الإسلامية، على جميع المستويات.. وفي كل موقع.

وقد خاطب (الشيخ) هؤلاء الشباب بلسان الأخ المحب الْغَيور عليهم، وعلى الإسلام والناصح الأمين.

وقد اشتمل الكتاب على أربعة أبواب:

فالباب الأول: اشتمل على بيان أسباب الأخطاء، وصور الجنوح الفكري عن إدراك الحقيقة. وفيه أربعة فصول: أبان (الشيخ) فيها مكانة الحق في مفهوم الدين، وصور الإدراك الإنساني بين الصواب والخطأ. . ، فأتى ببيانات تعتبر بحقٍّ إضافة مهمة إلى ما هو مدون من المفهومات الإسلامية. وجرياً على أسلوبه في استخلاص البيانات فقد استمدها من النصوص الواضحة من القرآن والسنّة، ومن الأصول العقلية السليمة.

وأبان أيضاً أسباب الخطأ الذي يحول دون إدراك الحقيقَة.

وفي الباب الثاني: المشتمل على ثلاثة فُصول أوضح فيها الفهم الإسلامي الصحيح لقضية اتخاذ الأسباب مع التوكّل على الله، مقروناً بالنظرات العقلية السليمة، ومُدعّماً بالأدلة القرآنية. كما أبانَ فيه وجوه النصر. . وأنَّها لا تقتصر على النّصر في المعارك الحربية فقط.

وفي الباب الثالث: المشتمل على ستة فصول، أبان المؤلف فيها أنَّ الديّن الحقَّ منهج متوسط بين التفريط والغلو، في العقائد والمفاهيم الدينية الأساسية، وفي الأحكام التشريعية، وفي السلوك الديني، وفي الولاء.

وفي الباب الرابع: المشتمل على أربعة فصول، شرح فيها (الشيخ) تعريف الجهاد ومجالاته، وعناصِرَهُ وأهدافَه وشرُوطه، ومحاولات التحريف والحيل التي تعرّض لها مفهوم الجهاد في سبيل الله. . ، وما رأى أيضاً من توجيهات بشأن قضيتنا الفلسطينية المعاصرة. .

فجاء الكتاب متميزاً في الموضوعات التي عالجها!، وكانت التوجيهات والتَّوجُّهات فيه سابقة لمعظم تورُّطات الحركات والاندفاعات المعاصرة، التي قام بها شباب يحملون شعارات نصرة الإسلام والجهاد في

سبيله. . !، فسقطوا في الخيبات والتورّطات. . التي كان (الشيخ) قد حذر منها بعض من لَقِيَ منهم قبل وقوعها، وقبل إصداره لهذه (البصائر للمسلم المعاصر).

وصار أهل الرشد منهم يقولون: «كُنّا نَلومُه قائلين: هو من المُثَبِّطين المُعَوِّقين للجهاد الإسلامي».

واليوم نقول: «لقد سقطنا فيما حذّرنا منه، ولو اتَّبعنا نصائحه لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه بأيدينا، وبمخططاتنا الناقصات. . ، والمجافيات للمنهج الإسلامي الصحيح لإقامة فريضة الجهاد بالقتال».

ـ وبصورة عامة فقد كانت توجيهات (الشيخ) صادقة وصائبة ومخلصة، وقد صدّقتها الأحداث، وذلك لاستنادها إلى المدلولات الإسلامية، المفهومة فهماً صحيحاً من جهة، وإلى العقل والمنطق السليم، والواقع وعظات التاريخ من جهة أخرى. .

وحبذا لو أنّ كلَّ من تحدّثه نفسه بالجهاد بالقتال لنصرة الإسلام أن يطلع على هذا الكتاب، ويتبصّر بنصائح مؤلّفه، ليتفادى ما وقع فيه غيره مِنْ هفوات جَرَّتْ إلى تورُّطات ونكباتٍ وويلات. . !!، والمسلمون المعاصرون بأمسّ الحاجة إلى إقالة العثرات!، والله من وراء القصد.

* * *

خاتمة

أختم بهذا كتابي عن زوجي (الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن حبنّكة الشهير بالميداني)، أطال الله عمره في صحَّةٍ وعافية وخِدْمَةٍ للإسلام والمسلمين، وفاءً بحقّه علي، واستجابةً لطلب (الأستاذ محمد علي دولة) سدّد الله خطاه.

وقد تحريّت أن أكون صادقة إن شاء الله في كلِّ كلمة قُلْتُها فيه إلى حدِّ الورع، علماً بأني مهما كتبت عنه فلن أُوَفِّيَه حَقَّه!!.

وأسأل الله عزّ وجل أن يُعيذَنا من شرور أنفسنا، وأن يرزقنا الإخلاص له في القول والعمل، وأن لا يعرّضنا لما يُحْبِط ثواب أعمالنا عنده، إنه العليم بما في الصدور، وهو العزيز الغفور.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله النبيّ الأميّ الأمين، وعلى جميع النبيّين، وآل كلٍّ وصَحْبِ كلٍّ أجمعين..

وكان الفراغ من كتابة هذا التعريف بزوجي وإنتاجه العلمي حتى تاريخه، يوم الإثنين في ٧ شعبان ١٤٢٠هـ، الموافق ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٩م.

عائدة راغب الجرّاح

مكة المكرمة — الأستاذة في (جامعة أم القرى)

سابقاً

لمدة ثلاثة عقود تقريباً

* * *

الفهـــرس

الموضوع | الصفحة

الفصل الثاني : تعريف بمؤلفاته

* * *